انطباعات أدبية ورؤى نقدية

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
مبدان الكيت كات - القاهرة
تليفاكس: 3448368 (00202)
www.alhdara-alarabia.com
E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

محمد صفوت

انطباعات أدبية ورؤى نقدية

الكتاب: انطباعات أدبية ورؤى نقدية

الكاتب: محمد صفوت
(مصر)

الناشر: مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٦

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٣٢٧٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-797-1

الغلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

لوحة الغلاف: للفنان العماني: مبارك بن سعيد المعشرى

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

تصحيح: عثمان العجمى

صفوت، محمد

انطباعات أدبيه ورؤى نقدية/ محمد صفوت. - ط١. - الجيزة: مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر، ٢٠٠٦

١٦٠ص؛ ٢١ سم.

تدمك: ١-٧٩٧-٢٩١-٩٧٧

١- المقالات العربية.

أ- العنوان ٨١٤

ابتسامة رجب البنا

هى ابتسامة كبيرة بكل المقاييس، ولكن صاحبها الكاتب اللامع المتواضع اكتفى بتسميتها "ابتسامة صغيرة" وجعلها عنوانًا لمجموعته القصصية المتميزة، التى صدرت مؤخرًا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، فى مكتبة الأسرة، ضمن مهرجان القراءة للجميع، برعاية السيدة الفاضلة "سوزان مبارك".

يُهدى "رجب البنا" كتابه إلى الأديب الكبير "عبد المعطى المسيرى" صاحب قهوة المسيرى فى دمنهور، الذى جعل قهوته مدرسة لتخريج الأدباء وملتقى لكبار المفكرين فى مصر، فأصبح بذلك صاحب فضل لا يُنسى.

والإهداء كما نرى يكشف لنا عن مدى ما يكنه كاتبنا النبيل من وفاء أصيل نحو أستاذ يعتبره صاحب فضل فى رعاية موهبته المبكرة وتشكيل وجدانه الأدبي.

ونجد الأصالة نفسها، بل والتواضع الشديد فيما يتوجه به رجب البنا من استطلاع لرأى القراء والنقاد فيما يبدع، يود فى حرص محمود أن يعرف رأيهم رغم كونه كاتبًا ذائع الصيت، وهو - لمن لا يعلم - رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار المعارف، ورئيس تحرير مجلة أكتوبر، وأستاذ منتدب بكلية الإعلام جامعة القاهرة وعضو اتحاد الكتاب وعشرات الجمعيات الثقافية والأدبية، وله العديد من المؤلفات، كما أن مقالاته الصحفية تطالعنا على الدوام وبانتظام فى كبريات الصحف والمجلات.

ومجموعته القصصية "ابتسامة صغيرة" تقع في حوالى مائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط، وتضم عشر قصص قصيرة تدور مضامينها وتتمحور حول هموم الناس الطيبين وقضاياهم الحياتية، أولئك الناس البسطاء الصادقين، الذين يستولون على مشاعر القارئ منذ لحظة البدء في معايشتهم، فيقع في حبهم ويشاركهم حياتهم. ويستمتع بما يلمسه في طبيعتهم وسلوكهم من طيبة ونقاء، ويرجع ذلك أساسًا إلى أنهم من صنع كاتب متمكن يلتزم في إبداعه بالمضمون الواقعي والصدق الفني، وبمهارة عالية ودقة متناهية يقدم لنا عالمًا موازيًا للواقع المعاش، يفعل ذلك بعفوية صادقة، وتلقائية شديدة، فينجح تمامًا في إقناعنا بأنه يقدم لنا عالمًا حقيقيًا وليس متخيلا، وأشخاصًا حقيقيين من لحم ودم، وليسوا من نسج الخيال، وتبلغ درجة إتقانه في تصوير أبطاله من الخارج والداخل حدًا يجعلنا نعتقد – أو نظن على الأقل – أنه يعرفهم حق المعرفة، بل وعايشهم عن قربٍ حميم.

ونستعرض معًا بعض قصص المجموعة..

"قصة أرملة" – الأولى في الترتيب – نلتقي فيها بزوجين من البسطاء، أهم صفاتهما المشتركة الطيبة والقناعة والصبر والرضا بالواقع وبما تأتي به المقادير دون سخط أو تمرد، ودون بذل أي محاولة إيجابية في سبيل التغيير إلى الأفضل.

الزوج نجار فقير يمرض ويرفض الذهاب إلى الطبيب، ورغم شدة مرضه يبتسم قائلا: "– هو اللي أجله انتهى.. الدكتور يدي له عمر..؟" ص١٥.

وهو يكبر زوجته بأكثر من عشرين عامًا، بيد أنها قبلت الارتباط به امتثالا لرغبة أبيها، الذي فضله على غيره وزكاه لحسن أخلاقه، وما لبثت أن رضيت عن حياتها معه وسعدت به لطيبته وحسن عشرته، وأنجبت منه ثلاثة أطفال أضيف إليهم طفلٌ أخيه الذي ماتت

زوجته، فصارت تربى خمستهم ولا تجد أى وقت للراحة ولكنها لا تشكو ولا تتذمر حيث كانت ترضيها ابتسامة زوجها. غير أنه مات فاضطرت إلى قبول الإعانات من إخوتها لمواصلة حياتها، ولم تقبل الزواج من شقيق زوجها الأرمل الذى تربى له ابنته وابنه "أنور"، وبدأت الإعانات تقل تدريجيًا فاشترت ماكينة خياطة وانكبت تعمل عليها ليلا ونهارًا، وفى غمرة كفاحها وانشغالها بتربية الأبناء (الخمسة) نسيت نفسها وشبابها ومطالب جسدها، حتى فوجئت بأنور وقد كبر وتخرج وتوظف وأصبح يساعدها فى نفقات المعيشة، فوجئت به يداعب شاربه، ويناديها باسمها دون أن يقول "يا مرات عمرى"، فأيقظ صوته فى هذه اللحظة شيئًا كان على وشك أن يموت، يقول لها هامسًا "- الأولاد أولادى.. أنا بعد المرحوم عمى، شاعر إنى مسئول عنهم.. إذا كان أبوهم مات.. أنا أبوهم.. إيه رأيك..؟".. إلى أن يقول الكاتب الراوى.. "احمرت وجنتاها.. لم تفاجأ تمامًا، شىء فى داخلها كان يتوقع هذه اللحظة.." ص٢٥.

وتتم الزيجة رغم كل المحاذير إلا أن أيام العسل تتقضى سريعًا، وينقلب أنور من الحب والعرفان بالجميل إلى التمرد والرغبة فى التدمير فنراه يضيق بها وبأبنائها ويقسو عليها وعليهم ويضربها وإياهم فى شراسة وعنف، وأصبح يقتر عليها فى المصروف ويحاسبها على دخلها من الخياطة.. زهد فيها وانطفأت فرحته بابنه الذى أنجبته له.. "أصبح لا يُطاق.. قمصان النوم العارية لم تعد تكفيه.. اشترت - لأول مرة - كل ما تضعه النساء على وجوههن.. أبيض.. وأحمر.. وأسود.. أصبحت تقضى كل ليلة وقتًا طويلا تعد نفسها لرضاه.. ولم يعد يرضيه شىء.. انتهى مفعول كل شىء.." ص٣٩.

استمر يشتمها ويضربها عقب كل حديث بينهما، واعتاد أن يبتز منها نقودها الخاصة، وصبرت هى حتى فقدت مقدرتها على تحمل المزيد من القهر والهوان، وقررت أن تنهى مهزلة حياتها معه وليكن ما يكون!

بيد أنها ما لبثت أن غسلت وجهها، ووقفت أمام المرآة ترتدى قميص النوم، وتضع المساحيق على وجهها بعناية!

لقد فشلت فى القيام بأى محاولة أو حتى مغامرة لتغيير حياتها إلى الأفضل، حيث خشيت عواقب التمرد والثورة على زوجها، والتعرض لحياة التشرد والضياع، فاستسلمت لحياة القهر والخنوع، حتى احترافها لحياكة الملابس كعمل إيجابى، لم تستطع بسلبيتها أن تعتصم به كما ينبغى من غدر الزوج والزمن!

فى قصة "الفرامل" نتعرف على "الأسطى محمود" سائق التاكسى الكادح، ونتألم معه من أجل طفله الصغير المريض، نراه يفكر فى عدم الخروج للعمل، والبقاء فى البيت إلى جانب فلذة كبده، ولكنه يجد نفسه مضطرًا للسعى وراء لقمة العيش ومصاريف علاج الصغير، فيقرر أن يعمل بعض الوقت ويعود سريعًا للاطمئنان على ابنه، الذى تركه يصارع المرض ولكن فى رعاية أمه وجديه لأمه، ويتوالى الزبائن على التاكسى وكل منهم فى عجلة من أمره يريد أن يصل إلى هدفه بسرعة، وله حكاية شخصية يثرثر بها فيصدع رأس محمود المهموم بمرض ابنه والذى يود هو أيضًا أن يفضفض بحزنه الخاص، ولكن الزبون لا يعطيه أى فرصة للحديث عما يعانيه، ولا حتى مجرد البوح بمرض ابنه، ولا يعفيه من مهمة توصيله ليتحرر من طاحونة العمل، ويذهب للاطمئنان على وحيده المريض، رغم أن خط سيره فى لحظة ما كان يمر مصادفة بالقرب من بيته!

لقد بلغت طيبة الأسطى محمود حدًا جعله غير قادر على الامتناع عن توصيل الزبون، رغم كل عذابه الداخلى وتلهفه على العودة لابنه.. وفى نهاية رمزية معبرة غامت الدنيا وبكت السماء بغزارة وتوقفت السيارة!

وثمة نماذج إنسانية كثيرة معجونة بالطيبة والصبر ولكنها مطحونة ومهمشة، نلتقى بها فى قصص "حكاية عم سلامة" و"الشمس

والغروب" و"بلاش النهاردة" و"ليلة عوضين" و"ليلة عيد" و"اليوم الرابع" و"فكرة عند منعطف الطريق".

ونصل إلى قصة "ابتسامة صغيرة" فنجد أنها استحقت بجدارة أن تكون عنوانًا للمجموعة، فهى قصة شيقة وممتعة، ذات بناء فنى محكم، وحبكة قصصية متقنة، ومضمون إنسانى متعدد الغايات، ولعل معظم قصص المجموعة تشترك معها فى كل ذلك أو بعضه، بيد أن "ابتسامة صغيرة" قصة ليس من السهل نسيانها؛ لأنها تملك من المقومات الإبداعية والجمالية ما يجعلها تعيش فى وجدان القارئ طويلا جدًا.

وهى للوهلة الأولى قد تبدو قصة حب رومانسى عادية، ولكن الكاتب أعطاها من ذاته ورواها بضمير المتكلم، وصاغها فى إطار اجتماعى ونفسى عميق الدلالات، مع تقديم وتأخير فى الأحداث أكسباها تشويقًا ومذاقًا خاصًا من شأنهما جذب القارئ ودفعه إلى سباق مع السياق.

فالرواى أو "لطفى" يعود إلى قريته بعد حوالى خمس سنوات، وقد تعلق بإحدى يديه صغيره "سامى" وباليد الأخرى زوجته "وداد" التى أحبها وأحبته، وهى طالبة بالثانوى وهو طالب مغترب بكلية تجارة إسكندرية، ويرصد التطور فى معالم القرية "من الذى بنى هذا البيت الكبير بالخرسانة والطوب الأحمر.. أحسن من بيت العمدة بكثير.. آه.. وحدة صحية.. وأيضًا وحدة بيطرية، تغيرت الدنيا، أصبحت للحيوانات حقوق.." ص١٢٨.

ولكن بقى كوخ "عم أبو حلاوة" كما هو.

ونترك تصويره لكفاح عم أبو حلاوة، ونعود إلى قصة الحب، . نما بكت وداد وهى تودع حبيبها لطفى المسافر إلى قريته فى نهاية عامه الدراسى الثالث، لقد حدثته من خلال دموعها عن تقدم عريس لها وموافقة أهلها عليه رغم عدم موافقتها الشخصية.. "-وإذا ضغطوا

علىّ وأصروا على العريس ده، وانت فى البلد أعمل إيه؟"... "- ابقى تعالى البلد.. ادى انت عارفة العنوان.. وأنا حكيت لك ستين مرة على البيت.." ص١٣٤.

ويفكر لطفى فى كيفية التغلب على دكتاتورية أبيه واستبداده، لا بد أن يصارحه.. "الدنيا تعترف بالثورات المشروعة، لماذا أحرم أنا من حق الثورة على هذه الأوضاع الغريبة... أنا أفريقيا المظلومة.. أفريقيا تتحرر، فلا بد أن أتحرر أنا أيضًا.." ص١٣٧.

غير أنه يجبن ولا يجرؤ على مفاتحته فى الموضوع لأنه رجل فى منتهى القسوة والصرامة. ولكن وداد تأتى إلى القرية ذات يوم، فيفاجأ ويقع فى دوامة كبيرة، ولم تستطع أمه له نفعًا لخوفها من أبيه الذى أقسم.. ".. خدها دلوقت حالا وسفرها.. علىّ الطلاق ما هى بايته فى الدار.." ص١٤٠.. ولكن كيف تسافر و"بعد المغرب تنقطع المواصلات وتنعزل بلدنا عن العالم.." ص١٤١.. لم يكن ثمة مفر من أن تنام ليلتها فى كوخ "عم أبو حلاوة" بدون "مرتبة ولا مخدة ولا حتى ملاءة يمكن أن تتغطى بها" ص١٤١.

لقد أشفقنا كثيرًا على وداد التى لم تتذوق للنوم طعمًا وإنما قضت ليلتها باكية متكورة على نفسها، وبكى من أجلها لطفى المغلوب على أمره وأخته وأمه التى بدت مسلوبة الإرادة، وكل ما استطاعت فعله هو دس بعض النقود فى يد لطفى، الذى واجه العاصفة ولم يضعف ولم يفرّط فى حبيبته، بل عقد عليها بمجرد وصولهما إلى إسكندرية وتزوجها فى شقته الصغيرة، وبعزيمته استطاع أن يعتمد على نفسه ويعمل وينجح ويشق طريقه فى الحياة.

إنها تفاصيل غريبة وطريفة فى آن معًا، يتذكرها لطفى عند حضوره لأهله بعد مقاطعة دامت خمس سنوات لم تخفف من حدة الموقف.

ولم يحل تلك الأزمة العائلية غير الحفيد سامى الذى ما كاد يعرف أن هذا هو جده حتى اندفع يقبله ويضاحكه، فتخلى عن جموده وعلى

مسمع من وداد خاطب لطفي قائلا: "– جرى إيه يا أستاذ.. ما تسلم عليّ.. بقى الولد هو اللى يعرف الأصول.. ما تدخّل الجماعة.. لدخلوا واستونى على العشاء.." ص١٤٧.

ونلاحظ أن لغة السرد عند كاتبنا الكبير فصحى ميسّرة تميل إلى السلاسة والوضوح، وتتبع صادقة من وجدانه، ومن كل ذلك تستمد بلاغتها وجمالها.

أما الحوار فهو يجريه باللهجة العامية.. اللهجة الفعلية لأبطاله وشخصياته، التى يتحدثون بها فى واقع حياتهم اليومية، كما ظهرت العامية أيضًا فى عناوين بعض القصص مثل قصة "بلاش النهاردة"، وأغلب الظن أن استخدامه للعامية جاء بمقتضى منهجه الواقعى ورغبته فى الوصول بأدبه إلى أعلى درجة من الصدق الفنى، فكل شىء يجرى كما هو فى واقع الحياة تمامًا.

لقد استمتعنا كثيرًا بهذه المجموعة القصصية الجيدة، التى تعد إضافة حقيقية لمكتبتنا العربية، ونحن فى انتظار أن يمتعنا أديبنا الكبير بأعمال إبداعية جديدة.

مارس ٢٠٠٢

الفن والأخلاق فى القصة القصيرة

عند فتحى الإبيارى(*)

خلال السنوات القليلة الماضية، قدم لنا "فتحى الإبيارى" بضعة أعمال أدبية هامة، منها: ترجمته الرائعة لقصة "ديكنز" الخالدة "دافيد كوبرفيلد"، ودراساته النقدية والتحليلية لـ"فن القصة عند تيمور"، و"الجنس والواقعية فى القصة".. وغيرها.. وأخيرًا، يقدم لنا الصحفى الأديب، مجموعته القصصية "بلا نهاية" لتكون أول عمل قصصى له.

وبتأمل قصص المجموعة ندرك أن الكاتب تؤرقه وتضغط على تفكيره بصورة حادة هموم الإنسان المقهور وآلامه.. فى معظم قصص المجموعة نلتقى وجهًا لوجه بشبح الإنسان المقهور وتتراوح أسباب القهر ما بين اجتماعية واقتصادية وعاطفية.. ولكنها جميعًا تشكل نهاية مصيرية واحدة، هى ضياع الإنسان وانسحاقه، فى عالم تهتز فيه القيم الإنسانية، وتتساقط واحدة تلو الأخرى!

ولم يفلت من تلك النهاية القاتمة غير بطل قصة "ذلك الحيوان" الذى ألفيناه يخوض صراعًا مريرًا، بين رغبته الجنسية التى تدفعه دفعًا ليمارس الجنس مع امرأة تريده، وبين ما يؤمن به من القيم الأخلاقية، التى تأبى عليه أن ينحط إلى هذا الدرك الأسفل.. وفى النهاية ينتصر البطل على نفسه وغرائزه.. وهى نهاية مضيئة تتفق مع المذهب الأخلاقى للأديب.

---

* - نشرت فى مجلة "البيان" الكويتية فى مارس ١٩٧١.

ولقد أورد الكاتب قصته تلك بطريقة ضمير المتكلم مما قد يوحى للبعض بأنه هو بطلها الحقيقى.. ولذا كان عليه أن يختار النهاية المضيئة.

فى هذه القصة نجح الكاتب فى استخدام "المعادل الموضوعى" فثمة قطة ترقد على إحدى درجات سلم المنزل وحولها مجموعة من ذكور القطط كل ينتظر دوره حتى يفرغ القط المحظوظ من إسكات مواء القطة المستمر.. تمامًا كما ينتظر البطل أن ينتهى صديقه من أداء مهمته مع المرأة لكى يجىء دوره، ويستمتع بها هو الآخر.. ولكنه فى النهاية لا يرضى لنفسه أن يكون مثل قط من هؤلاء القطط.

وبصفة عامة فإن قصص هذه المجموعة ذات المنهج الواقعى والمضمون الاجتماعى، تضع فتحى الإبيارى فى مكان طيب بين كتّاب "الواقعية الاجتماعية"، وتشهد له بحبه العظيم للإنسان، ذلك الحب الذي يجعله يجهد نفسه فى البحث عن النماذج الإنسانية المعذبة، ليعبر عنها، ويواسيها بفنه، ويقف إلى جانبها فى مواجهة ظروفها القاسية.

فقط، أرجو أن يتخلص الكاتب من هيمنة الهدف الأخلاقى وسيطرته على المحتوى الفنى لقصصه، فهو يدعو لبعض المبادئ والقيم الأخلاقية، التى يؤمن بها بأساليب قد تخرج عن البناء الفنى للقصة، وتقترب من الوضوح المباشر أحيانًا.. كما فى قصص: "الضيف.. والحمقى"، و"المفتاح"، و"ذلك الحيوان".

ومن هذه الزاوية، فإن أديبنا يبدو متأثرًا بتعاليم مدرسة أدبية عتيقة هى مدرسة "الفن للأخلاق" أو مدرسة "الأدب الهادف" كما نسميها اليوم.. ومن عيوب هذه المدرسة أنها تحد من حرية الأديب، وتحول بينه وبين الانطلاق إلى الإبداع الفنى المتكامل، إذ تلزمه بأن يكون أدبه ذات رسالة هادفة، كالحض على الفضيلة مثلا.. الأمر الذى قد يؤدى به إلى مباشرة القول، أو استخدام لغة الوعظ والإرشاد، دون أن يشعر.. وأيضًا، فإن هذه المدرسة، تبسط معنى الفن إلى حد كبير،

وتقدم مضمونه على صورته.. وذلك من شأنه أن يسيء إلى الفن والفنان معًا.

وأعتقد أن فتحى الإبيارى، بعد أن كتب مجموعته هذه عاد ونظر إليها نفس النظرة فقدمها للقارئ قائلا:

"كتابة فن القصة القصيرة من أصعب الكتابات؛ لأنها تحتاج إلى تركيز شديد، ولمحة نفاذه ومعالجة فنية ماهرة؛ لذلك رأيت أنه من الأفضل أن أتعمق فى أسرار هذا الفن قبل أن أعالجه ولقد قرأت، ودرست، وكتبت.. طوال عشر سنوات، حتى وصلت إلى الاتجاه السليم فى هذا الفن واهتديت إلى أسلوب جديد.. ولكنى نظرت فوجدت أن بعض قصصى القديمة لا بأس بها إن نشرت، لذلك آثرت أن أنشرها أولا، حتى لا أحكم عليها بالفناء، إذا نشرت ما وصلت إليه الآن من نضج فنى، فى قصصى الجديدة".

ولن أعاتب الكاتب لضنه علينا بما عنده من جديد، فقط أقول له:

"نحن فى انتظار أن نستمتع بهذا الجديد".

ونتوقف أمام بعض قصص المجموعة، لنستخلص ما يقوله الكاتب، ونلم بزوايا رؤيته الفنية.

فى قصة "الضيف.. والحمقى" نعيش تجربة أبناء يقتحم حياتهم ضيف ثقيل الظل، هو الموت الذى يوشك أن يختطف أباهم المريض.

ومأساة هؤلاء الأبناء وإن تمثلت فى موت أبيهم، المسبوق بمرضه الطويل، إلا أنها تزداد وطأة وإيلامًا، بفعل أولئك الأشخاص المستغلين (الحمقى)، الذين يتخذون من المرض والموت تجارة لهم. فالطبيب، والحانوتى، وغيرهما من أصحاب المهن ذات الطابع الإنسانى النبيل، يجردهم الجشع أحيانًا من إنسانيتهم، فيتحولون إلى مجرد تجار، يفرحون لمرض الناس وموتهم، ويبالغون فى اقتناص المكاسب الفاحشة، على حساب أحزان الآخرين.

وهكذا، نرى أن الكاتب قد صور لنا معنى مُصاب قوم عند قوم فوائد" من خلال قصة إنسانية تهز الوجدان.

وفى قصة "غرامة" يوفق الكاتب فى التقاط صورة نابضة، من واقع الحياة.. صورة داكنة لإنسان ضائع، يعيش على هامش الحياة، بيد أن المجتمع، بقوانينه الصارمة، يتنكر له، ويكاد يسلبه حقه فى الحياة

هو بائع متجول، يبيع حلاوة جوز الهند على عربة يدوية صغيرة، وهو فى أفضل الأحوال، يكسب من وراء ذلك بعض الملاليم، التى قد تصل إلى قروش، لكنها لا تفى بقوت يومه، ومطالب عياله.. ورغم الفقر المدقع، يعيش الرجل قانعًا بحظه من الحياة، غير أن قانونًا جامدًا عتيقًا يقف فى وجهه، ويسد عليه سبل الحياة.. فثمة شاويش يطالبه بدفع غرامة مالية؛ لأنه يخالف التعليمات، ويقف فى مكان لا يجوز أن يقف فيه.. ويثور الرجل، ويصيبه اليأس بما يشبه الجنون، فيضرب رأسه فى الحائط ويتجمع الناس حوله ويشفقون عليه، ولكن، دون جدوى يحاولون إيجاد حل للمشكلة فالشاويش تزايله قسوته التقليدية ويؤلمه بؤس الرجل، ويميل إلى التعاطف معه، ولكنه يعجز عن التصرف، لأنه هو الآخر يحكمه القانون، وإذا لم ينفذ الأمر الصادر إليه، تعرض للمحاكمة ممن هم أعلى منه، وقضى على مستقبله بالضياع.

فى تلك اللحظة المعقدة، يبلغ البناء الدرامى للقصة غايته، فالبائع إنسان، والشاويش إنسان، لكن القانون لا يرحم، فإما أن يدفع الرجل الغرامة، وإما أن يقوده الشاويش هو وعربته إلى القسم، رغم أن العربة لو بيعت بما عليها من الحلوى، لن تأتى بقيمة الغرامة.

وبالإضافة إلى براعة الكاتب فى تحليل مشاعر كل من البائع والشاويش، وما يعانيه كل منهما من ألوان القهر، فإنه قد أجاد حين صور التناقض الصارخ، بين جو القصة القاتم، وجو الحياة الصاخب، حيث الناس والثراء، والعربات التى تملأ الشارع.. مما ساعد على تعميق إحساسنا بمضمون القصة.

وفى النهاية تكتمل سخرية المؤلف من متناقضات الحياة حين يلقى البائع بنفسه تحت عجلات سيارة مسرعة؛ هربًا وتخلصًا من الغرامة، ومن الحياة بأسرها.. ولكنه – لسوء حظه – يصاب فقط، ولا يموت كما كان يتمنى.. ويستقر مقهورًا فى المستشفى، بينما تستقر عربته فى القسم.

من خلال عرضنا لهاتين القصتين، وتلك التى أسلفنا الحديث عنها فى بداية المقال، يتضح لنا – رغم سمات الجودة – حرص الكاتب على أن يضمن ثنايا قصصه بعض العظات والعبر، وهو فى سبيل ذلك، يسير وفق تخطيط محكم، يبرز المعنى الذى يهدف إليه، ولكنه يحد من إبداعه الفنى أحيانًا.. وكأنى به يلزم نفسه باتباع منهج مدرسة الأدب الهادف، ويصر على أن يقدم للقارئ فائدة مؤكدة. ولا بأس عليه فى ذلك حين يهتم – كفنان – بالجانب الإبداعى فى قصصه، ويكتفى بالتلميح دون التصريح، ويضفى على أعماله من الغموض ما يكفى لأن يمنح القارئ لذة التفكير والتعرف.

وفى قصة "بلا نهاية" نقرأ هذا الحوار الشاعرى، الذى يدور بين بطلىْ القصة.. يقول عادل لآمال، وهو ينظر ناحية الأفق:

– منظر الغروب.. جميل.

فتقول بنبرة مختنقة:

– لا أحب هذا المنظر أبدًا.

– لماذا؟

– لأن الغروب دائمًا يدل على النهاية.

– بالعكس.. إن غروب الشمس بلا نهاية.. فهو فى الحقيقة بداية فى مكان آخر.

فى رومانسية فياضة، يربط الكاتب بين غروب الشمس، وغروب الحب عن حياة آمال، فقد كانت تحب عادل، وهو أيضًا يبادلها الحب،

ولكنها ظلت تطارده بفكرة الزواج، وتتحايل فى سبيل ذلك، فتخبره ما بين يوم وآخر، بخطوبة صديقتها هذه، أو زواج صديقتها تلك، الأمر الذى جعله يشعر بالمهانة والحرج، فهو لا يزال فى بدء حياته العملية، مشغولا ببناء مستقبله، وشق طريقه كأديب وغير قادر على الوفاء بمطالب الزواج.. فكان الفراق.. وغروب الحب.. بيد أن عادل ما لبث أن نجح كأديب، وأشرق الحب فى حياته من جديد، فتزوج من غيرها، وأصبحت هى تقرأ قصصه فى الصحف والمجلات، وتعزى نفسها، محاولة الاستعاضة عن حبه بحب ابن شقيقتها الرضيع.. ولكنه يموت كما مات حبها، وتبقى هى لتعيش بقلب مقهور، تتجدد أحزانه عند قراءة قصص عادل، الذى يصور نفسه فى قصصه صورًا تخالف حقيقته.. ولا تجد مفرًا من أن تذهب إليه، وتلتقى به، ولكنه لقاء لا يدوم ولا يتكرر.

وهذه القصة ذات المضمون الرومانسى، لا يشوبها غير الاستطراد وعدم التركيز، وبعض الضعف فى حبكتها القصصية.. ويخيل إلىّ أن الكاتب قد أفاض فيها؛ لأنها تمثل ملمحًا من حياته الشخصية.. بحيث يمكن القول بأنه قد اختارها عنوانًا للمجموعة، لما لها من مكانة خاصة فى نفسه، جعلته يفضلها على باقى قصص المجموعة، الأكثر جودة.

وثمة ملاحظة أخيرة وهى أن فتحى الإبيارى، قد تأثر باشتغاله فى الصحافة، فهو يكتب فى بساطة مطلقة، ويميل إلى استخدام العبارات السهلة، وتغطية موضوعات قصصه تغطية كاملة.. وهو بعد ذلك يصب قصصه فى الإطار التقليدى، متجنبًا التعامل مع التكنيكات القصصية المعقدة.. وهو فى كل ذلك، يبدو محبًّا للقارئ، راغبًا فى أن يكون قريبًا منه ما أمكن.

وعمومًا، فنحن أمام مجموعة قصصية جيدة، وواعدة، تجعلنا ننتظر الأعمال القادمة لفتحى الإبيارى بمزيد من الاهتمام والتقدير.

الحمامصى والحريرى وكأس القبانى(*)

فى الحفل السنوى، الذى تقيمه ندوة الأديب الأستاذ حسين القبانى، شهدنا تسليم كأس القصة، وكأس الشعر، للفائزين بهما، من أبناء الندوة، عن عام ١٩٦٧، وهما:

الأديب الشاب عبد العال الحمامصى، وقد فاز بكأس القصة، عن مجموعته القصصية "للكتاكيت أجنحة" التى صدرت عن دار الكاتب العربى.

وشاعر العامية عزت الحريرى، وقد فاز بكأس الشعر، عن ديوانه "أنا عايش".

وقد حضر الحفل الأديب الأب محمود تيمور، والدكتور رشاد رشدى، وعبد المعطى المسيرى، وغالى شكرى ووصفى آل وصفى، وكثير من الأديبات والأدباء.

الندوة وصاحبها

وصاحب الندوة حسين القبانى، قد تجاوز الخمسين عاما، وله تاريخ مجيد فى ميدان الكلمة، بدأ فى نشر كتاباته عام ١٩٤٦، صدرت له حتى الآن عشرة كتب مؤلفة، وحوالى مائة كتاب مترجم، من روائع الأدب العالمى، منها الأبله، وكوخ العم توم..

وقد أنشأ الندوة فى أواخر عام ١٩٥٩؛ لشعوره بأن الأدباء الشبان فى حاجة إليها، فهم يلتفون حولها، ويناقشون إنتاجهم وقضاياهم،

---

* - نشرت فى مجلة نادى القصة فى يونيو ١٩٦٨.

وهى تساعدهم على أن يشقوا طريقهم فى الحياة الأدبية، وقد تخرج منها حتى الآن ما يقرب من خمسين أديبًا وشاعرًا، أصبحوا يقدمون أعمالهم للقراء.

ونجم الحفل الزميل عبد العال الحمامصى، عرفته والتقيت معه على حب الكلمة، عمره الأدبى من عمر الثورة، أسلوبه يمتاز بالصدق والتركيز، وقصصه تنبض بالحيوية، وحرارة الواقع، ومعظم أبطاله مكافحون، تجدهم فى صراع دائم مع الحياة، مثل مبدعهم، عبد العال نفسه، الذى يجاهد ليأخذ مكانه فى الحركة الأدبية، بعرقه وقوة إرادته، متحليًا بذخيرة لا تنفد من الصبر والمثابرة، وهو إلى جانب فوزه بالكأس، قد حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة هذا العام.

وقد قال عنه الأستاذ ثروت أباظة، فى مقدمة الكتاب: إنه يمثل جيله خير تمثيل، ولا يحاول أن يتغرب، فإذا قرأته قرأت شابًا مصريًا، يحس أحاسيس بلده، ويعبر بلسانها، ثم هو يصب فنه بعد ذلك، فى قالب حديث غير متأخر، وهذه الممازجة هى التى تجعله يمثل جيله.

تيمور يهنئ الفائزين

وقد هنأ أديبنا تيمور الفائزين، بكلمة أسماها "تحية الكأسين" جاء فيها:

ويسعدنى أن أحيى الفائزين بالكأسين، وأن أهنئهما بهذا الفوز.

فأما الأستاذ الحمامصى، فهو قاص عصامى، شق طريقه بأصابعه، واستطاع أن يظفر بمنحة التفرغ للتأليف، وهى شهادة بأنه أديب واعد، مرجو التألق والازدهار.. وفنه موفق بين اتباعية سليمة، وتجريدية مقبولة فى عملية مزاج من التحفظ والانطلاق.

وإن تلك الروح، التى تأبى الجمود، كما تأبى الجموح، لهى أساس الاستشراف لفن جديد.

وأما الأستاذ الحريرى، فهو زجال ومحاسب ضرائب، وعجيب أن

يجتمع الفن والضريبة، والتأليف بينهما مستحيل، ولكن الحريرى نصب نفسه محاميًا ومدافعًا عن الفن من عسف الضرائب، وهو فنان شعبى، يعبر بلغة الشعب عن روح الشعب.

وإلى كأسين قادمتين، لفائزين جديدين، إن شاء الله.

كلمة الندوة

وعن أعضاء الندوة، ألقى الأديب وصفى آل وصفى كلمة قال فيها:

تعودنا أن ننتهز فرصة هذا اللقاء السنوى لندوتنا، لنسترجع معًا بعض معالم الطريق الذى سرنا فيه، ونختار لعامنا الجديد غايات محددة، ندعو لها، ونبذل فى سبيلها ما استطعنا من جهود.

وندوتنا قد عايشت الحركة الأدبية، بقلوب مخلصة، وعقول متحمسة، فتمكنت مثلا من إصدار مجلة الأدباء الأسبوعية، التى ما كادت تزدهر حتى سقطت على الطريق، صريعة الفتور والتراخى من المسئولين، والتناحر التجارى على عقود الإعلان، الذى كان ولا يزال للأسف، يتحكم فى مصير الصحف والمجلات.

وعادت ندوتنا إلى نضالها الميدانى، بإمكانياتها المادية المتواضعة، وإخلاصها الكثير، فاستطعنا أن نصدر "الندوة"، بالتعاون مع رابطة مأمورى الضرائب، وبادر إلى مساندتها عدد كبير من الأدباء.

ثم أشار وصفى إلى كأس القصة، وكأس الشعر، اللتين تقدمهما الندوة تقديرًا لأجود الأعمال المطبوعة، وهنأ الفائزين بهما عن عام ١٩٦٧. ثم مضى يشرح دور الندوة فى توجيه أصحاب الأعمال غير المطبوعة ورعايتهم، حتى يتمكنوا من شغل أماكنهم الطبيعية فى الحركة الأدبية.

رسالة رقيقة..

وقد وصلت الندوة رسالة رقيقة من الأديب محمد الخضرى عبدالحميد، نائبًا عن أدباء ملوى، وآثر أن يسميها "تحية من غائب..

حاضر". وقد ضمنها أطيب التحيات لرائد الندوة والضيوف، ونجمى الحفل، مع خالص تهنئته لهما بالفوز.

وفى ختام الحفل، قام الأستاذ تيمور بتسليم الكأسين للفائزين، وصافحهما متمنيًا لهما مزيدًا من التقدم والازدهار.

ثم تحدث صاحب الكأس، فهنأ الفائزين، وشكر الضيوف، وأعضاء الندوة، ثم قال كلمة خاصة، أطرى فيها أستاذه محمود تيمور.

وانتهى الحفل بكلمتى القاص عبد العال الحمامصى والشاعر عزت الحريرى.

غرباء.. والصدق الفنى عند محمد حافظ رجب(*)

"غرباء" هى المجموعة القصصية الثانية، للأديب الشاب محمد حافظ رجب. وفى هذه المجموعة نلمس بوضوح محاولات الكاتب المستمرة للخروج عن الشكل التقليدى للقصة القصيرة، والتغلب على رتابة السرد القصصى العادى.

وهو بذلك، يحاول أن يساير حركة التطور والتجديد، ويسعى للتمكن من أدوات القصة الحديثة التى لم تعد تقبل التقيد بالإطار التقليدى ذات البداية والوسط والنهاية والتى لم يعد يجدى معها أسلوب السرد الممل.

ولقد وفق الكاتب فى محاولاته إلى حد كبير، كما فى قصة "جداران ونصف" و"الفارس" و"المدية".. بينما جاءت محاولته للتجديد فى قصة "المليونير" على حساب صدقه الفنى.

أما باقى قصص المجموعة العشر فهى تتسم بالطابع التقليدى. وليس هذا مأخذًا نأخذه على الكاتب، فالشكل غالبًا ما يخضع للمضمون. وهناك من الموضوعات ما لا يصلح لها غير الشكل التقليدى، وخاصة تلك الموضوعات الواقعية، التى نشعر أنها من واقعنا الذى نعيشه.

وثمة رأى يقول: إن الشكل التقليدى للقصة، هو الأصل، وهو الباقى، وإن كل ما عداه فضول طارئ لن يلبث أن يزول، وعمومًا، فهذه قضية لا يتسع المجال لمناقشتها الآن.

---

* – نشرت فى جريدة "المساء" فى ٧ سبتمبر ١٩٦٩.

ومن المؤكد أن مجموعة "غرباء" هذه، سابقة فى تاريخ كتابتها لمجموعة "الكرة ورأس الرجل"، التى نشرها الكاتب منذ ما يقرب من عامين، والتى أكد بها موهبته القصصية، ومقدرته الفنية، ودرايته بأحدث الأساليب والتكنيكات التى وصلت إليها القصة القصيرة.. وإن كنت لا أدرى لماذا يلجأ إلى استخدام التراكيب المعقدة والألفاظ المقعرة، المسرفة فى الغرابة ليعبر بها عن المضامين الواقعية العادية لقصصه، أهى الرغبة فى تغليف أعماله بالضبابية والغموض، والجرى وراء الجديد لمجرد كونه جديدًا؟! ربما؟

ونمضى الآن إلى قصص المجموعة التى بين أيدينا، فنشهد جنازة شرف "عبده أفندى" الذى أهدرته زوجته الخائنة، نراها والعسكرى يقودها إلى القسم واضعًا كفه فوق كتفها الممتلئ، وهى حافية القدمين مهوشة الشعر، لا يستر جسدها غير قميص النوم الفاقع، وعن يسار العسكرى شاب بسروال قصير وفانلة بيضاء تبرز عضلاته، هو الفاعل.. ثم الزوج المطعون، وموكب كبير من الرجال والنساء والأطفال: هم أهل الحارة التى مزقت ركودها تلك الفضيحة.

لقد عاد عبده أفندى الموظف القديم التقليدى، الذى نصادفه فى معظم قصصنا المصرى، عاد من عمله فى غير موعده – كما يحدث فى أفلامنا – ليأخذ ملفًا كان قد نسيه فى البيت، فإذا به يفاجأ بزوجته فى أحضان رجل آخر!

ويصف الناس عبده أفندى بالبطولة معتقدين أنه استطاع أن يرسم خطة محكمة؛ لضبط امرأته وهى متلبسة بالخيانة، بينما هو فى قرارة نفسه يلعن الظروف التى جعلته يعود إلى بيته، ليفاجأ بشرفه يذبح أمام عينيه، فلو لم ينس الدوسيه لعاش سعيدًا مثل كل الناس.

وبعد انتفاضة – البطل – وثورته لشرفه، تعود إليه سلبيته، ويكاد يشعر بالندم، بعد أن ترك امرأته فى القسم، فمن سيعد له الطعام ويدفئ داره ويرعى أولاده؟!

بطل القصة شخصية نمطية وفكرتها تبدو مستهلكة. ولا بأس على الكاتب فى ذلك. فبعد مرور أكثر من نصف قرن على نشأة القصة المصرية، أصبحت جميع الأفكار تبدو لنا وكأنها قد استهلكت. وأصبح الواجب علينا أن نوجه اهتمامنا إلى الشكل الفنى للقصة. وهذا ما فعله كاتبنا فى بعض قصص هذه المجموعة وفى كتاباته التى تلت ذلك، أما فى قصته التقليدية تلك، فيخيل إلىّ أن رؤيته لموكب الخيانة غير المألوف هى التى شدته لكتابتها وعرضها على هذا النحو الجيد.

وفى قصة "خناقة" تحدث الخناقة بين طفلتين تلعبان معًا، فتؤدى إلى نشوب معركة بين والدتى الطفلتين ثم تتسع المعركة بتدخل والدى الطفلتين أيضًا.. ويتخاصم الفريقان.. وفى النهاية تعود الطفلتان فتلعبان معًا وبذلك يكون القاص قد جسد المثل الذى يقول "يعملوها الصغار ويقع فيها الكبار".. ولا شك أن هذا المعنى قد أغرانا جميعًا بتناوله، وقد صور الكاتب والدى الطفلتين على أنهما عائدين من عمليهما، بعد مصادفة الكثير من المشاكل والمتاعب، كمبرر لشجارهما، بينما كان مضمون القصة فى حد ذاته، غنيًّا عن هذا المبرر لكنه أراد أن يعمقه، فبدا وكأنه يفتعل الأحداث.

ونصل إلى إحدى روائع محمد حافظ رجب، وهى قصة "جداران ونصف" التى توضح لنا مقدرته وطموحه نحو التطور والتجديد.

فى هذه القصة يقدم لنا الكاتب شخصية مزدوجة، تجمع فى داخلها بين الخير والشر.. ومن الطبيعى أن يحتدم الصراع بين الخير والشر.. فتلك قاعدة أزلية. ولكن الأديب لا يكتفى بذلك، وإنما يشطر شخصيته إلى نصفين يفصلهما عن بعضهما البعض، بمهارة فائقة، فنجد أنفسنا أمام نصفين آدميين، كل منهما يفكر ويتحرك مستقلا عن الآخر، الخير فى نصف إنسان، والشر فى نصف إنسان، والنصفان لشخص واحد. فقد زوجته الحبيبة، وله صديق مجرب، يحاول أن يقوده ليمارس الجنس، عسى أن يجد فيه عوضًا عن الحب.

ويكون هذا هو محور الصراع بين الصديق، ونصف الإنسان الخيِّر ونصف الإنسان الشرير، والمرأة، ويعمل الكاتب على تصعيد الصراع فيعمد إلى المواجهة بين أطرافه المختلفة.. ويبدو نصف الإنسان الخير وحيدًا.. لا شيء يسانده، كما يحدث كثيرًا في دنيانا هذه، فيختفي الخير في الظلام، ويدفع الصديق بنصف الإنسان الشرير إلى المرأة، في غرفة النوم.

وتستحثه المرأة قائلة له بغضب أنه الموقف.. الآخرون غاضبون بينما هو حائر معها، يبحث عندها عن الحنان والحب الحقيقي، اللذين يرمز لهما الكاتب "بالثدي". لقد كانت زوجته تعطيه ثديها حين يحتاجه.. أما هذه المرأة الفاجرة فترفض وتقول له غاضبة ساخرة:

– أنت مجنون هل تظنني أمك أم زوجتك؟

إنها امرأة للجميع، لا ثدي لها ولا تملك أن تعطيه الحنان والحب الحقيقي.

وتختنق الرغبة الشريرة في نفس البطل، وينتصر الخير.

وأنا أهنئ الكاتب على التكنيك الفني، الذي استخدمه في بناء هذه القصة.

أما في قصة المليونير فقد حاول الأديب أن يستعرض عضلاته في الكتابة فحضر بنفسه إلى القصة، وخاطب القارئ قائلا:

وأرى ألا نتوقف أمام ركاب العربات الأخيرة، فنصفهم، كما يفعل كل الكتّاب عادة، فهذه الطريقة وإن كانت ناجحة ومثيرة، إلا أنها تكلف المؤلف كثيرًا من اللفافات الرخيصة.. لا أجد ثمنها الآن! كما أنها تكلف القارئ كثيرًا من "الباستيليا" التي يروح يستحلبها كأوامر الأطباء، لذلك سأصرف النظر عن وصف ركاب عربة الدرجة الثالثة.

لماذا فعل الكاتب ذلك، هل يقتدي بالدكتور طه حسين مثلا؟ لقد فعلها الدكتور في كتابه "الحب الضائع" وابتسمنا لها، وتقبلناها على

أنها مداعبات ماهرة، من أستاذ عملاق فى الأدب، أما ما فعله محمد حافظ رجب فقد أشعرنا بأنه "مولف" وليس مؤلفًا. فهو يستهين بجدية العمل القصصى ويتهرب من المعاناة التى تصاحب عمليتى الخلق والإبداع.. الأمر الذى جعلنا نفتقد عنصرى الأصالة والصدق الفنى، فى هذه القصة ذات الأسلوب الإنشائى خاصة وأنه لم يكن أحد أبطال القصة، وإنما هو راويها أى أن وظيفته فيها هى وظيفة الكاتب ولا يجوز للكاتب أن يحضر بنفسه فى القصة، وإلا حضر جميع الكتاب فى قصصهم وتحولت القصة القصيرة عندنا إلى شىء آخر.

ولقد وفق القاص فى قصته الإنسانية "غرباء" التى يصور فيها حنين ابن البلد الوحيد المغترب إلى أبناء بلدته، وفرحته بنزولهم ضيوفًا عليه، رغم فقره الشديد!

كذلك كان الكاتب بارعًا فى مزجه بين الحقيقة والحلم فى قصة "الفارس"

وبصفة عامة، فنحن أمام مجموعة قصصية جيدة، تنتمى إلى الواقعية الحديثة وتمتاز بأسلوبها المتفرد وقيمتها الإنسانية والاجتماعية.

ونلاحظ أن القطاع الذى يكتب عنه ويتعامل معه محمد حافظ رجب، فى قصصه جميعًا، هو قطاع العمال والحرفيين، وصغار الموظفين أولئك البسطاء الكادحون الذين يقيمون فى الأحياء الشعبية بالإسكندرية موطن الأديب.

وبغض النظر عن لهجتهم الإقليمية المحلية، التى لم يستطع الكاتب أن يتخلص منها كلية، فإنه من الممكن أن نتجاوز عن إقليميتهم، وننظر إليهم نظرة أكثر شمولا، فنعتبر أنهم يمثلون القاعدة العريضة للشعب المصرى، وبذلك تبدو لنا المجموعة أكثر عمقًا وثراءً.

الدكتور جمال حمدان.. و.. اليهود

لا تزال الدعاية الصهيونية الدنيئة تملك من الجرأة والقدرة على الافتراء ما يجعلها تنقب فى بطون التاريخ على عمق ثمانية وثلاثين قرنًا من الزمان، لتزعم أن يهود اليوم هم يهود التوراة، أى أنهم من نسل إسحاق ابن سيدنا إبراهيم.. (القرن الثامن عشر قبل الميلاد).. وعلى هذا الأساس الخاطئ يدعون أنهم شعب واحد ذو قومية واحدة وجنسية واحدة!

وهذا يعنى بكل أسف أنهم أقاربنا من الناحية العنصرية، وأن فلسطين هى أرض الميعاد التى وعدهم بها الرب!

إذا كانت أبواق الدعاية الصهيونية المسمومة قد وصلت إلى هذا الحد من التبجح والتضليل، فإننا هنا سوف نثبت باستخدام الحقائق التاريخية والأدلة العلمية التى لا تقبل الشك، أن يهود إسرائيل اليوم ليسوا هم يهود التوراة، وإنما هم أشتات وأخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس، وليس ثمة ما يربط بينهم غير الديانة اليهودية والنزعة الاستعمارية.

من ناحية الديانة اليهودية، فنحن نؤمن بها كديانة سماوية، وليس هناك ما يوجب العداء بيننا وبينها، وذلك بحكم أن الدين الغالب للأمة العربية هو الإسلام، وشرط تمام إيمان المسلم أن يؤمن بالأديان السماوية السابقة، ومنها اليهودية.

وكذلك فإن المسيحيين العرب لا ينكرون اليهودية كدين سماوى، ولكن الذى ننكره نحن العرب ونعاديه جميعًا لخطورته على كياننا

ومصيرنا، هو الحركة السياسية العنصرية المسماة بالصهيونية، ذات النزعة الاستعمارية، التى أدت إلى تشريد أكثر من مليون عربى، وقيام إسرائيل داخل الوطن العربى كجرثومة مرض خبيث!

وتبدأ قصة اليهود فى التاريخ حوالى سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد، حيث هاجر إبراهيم الخليل هو وقومه من قلب الجزيرة العربية إلى بضعة أماكن استقروا بعدها فى فلسطين العربية، وكانت فلسطين فى ذلك الحين هى أرض كنعان، يسكنها أبناء كنعان من نسل نوح، وإلى جانبهم كانت توجد فى فلسطين كوكبة أخرى من القبائل السامية الصغرى.

وقد ولد لسيدنا إبراهيم ابنه إسحاق، ثم حفيده يعقوب، ومن أبناء يعقوب الاثنى عشر تأصلت الأسباط أو القبائل الاثنتا عشرة الشهيرة فى التاريخ والتوراة.

وفى عام ١٢٠٠ ق.م جاء الفلسطينيون واستقروا على ساحل أرض كنعان، وأعطوها اسمهم.. فلسطين.

وتاريخ اليهود منذ تلك المرحلة تاريخ دموى لا أخلاقى ملىء بالحروب والغزوات، فهم لكى يقيموا بأرض كنعان، حاربوا الكنعانيين والفلسطينيين أكثر من مرة، إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم غالبًا، وعلى يد الفلسطينيين أقوى أعدائهم بصفة خاصة!

وفى منتصف القرن السابع عشر ق.م، وبسبب القحط المشهور، هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر.

وفى حوالى القرن الثالث عشر ق.م هربوا من اضطهاد فرعون (رمسيس الثانى) قاصدين العودة إلى أرض كنعان، ولكن خوفهم من الكنعانيين العمالقة أدى بهم إلى المعصية، فعقاب التيه فى سيناء أربعون عامًا!

وفى القرن العاشر ق.م. وحّد داود قبائل إسرائيل الاثنتى عشرة وهزم الفلسطينيين وأسس مملكة إسرائيل، ولكنها ما لبثت أن

انشطرت إلى مملكتين متعاديتين متحاربتين، والمملكتان إحداهما شمالية والأخرى جنوبية.

وقضى سرجون الأشورى على المملكة الشمالية فى القرن الثامن قبل الميلاد.

وتعرضت المملكة الجنوبية لضربتين من مصر على يد شيشنق، ثم نخاو، وأخيرًا قضى عليها نهائيًا بنو ختنصر البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد.

وبذلك نرى أن دويلة اليهود قد أبيدت وأزيلت تمامًا من فلسطين منذ القرن السادس قبل الميلاد.

وتشرد يهود إسرائيل وانتشروا فى بقاع مختلفة من دول العالم، على مدار السنين، بطرق كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

ويرى بعض المؤرخين أن اليهود موزعون توزيعًا عالميًا، لدرجة يمكن أن يقال معها إن.. "تحت كل حجر فى العالم يهودى".

والحقيقة أن عدد يهود العالم فى أول عام ١٩٦٦ يقدر بحوالى ١٣,٤ مليون نسمة، وهو رقم يبدو قزمًا وضئيلا جدًا إلى جانب عدد سكان العالم الذى يزيد عن ٣٣٠٠ مليون، أى أن نسبة اليهود إلى سكان العالم لا تزيد عن ٣ أو ٤ فى الألف، مما يدل على أن اليهودية قوقعة دينية حفرية ضامرة.

ويوجد معظم يهود العالم فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والاتحاد السوفيتى، والمسماه إسرائيل، ثم أعداد تافهة جدًا فى بقية دول العالم.

وفى بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود فى فلسطين كلها يزيد عن ١٠ آلاف نسمة.

ونظرًا لأن سياسة اليهود تعتمد دائمًا على الخيانة والعدوان، فإنهم كانوا يواجهون بالاضطهاد أينما ذهبوا، مما جعلهم كثيرى الهجرة والهرب.

وقد أدى الاضطهاد النازى لليهود فى ألمانيا الهتلرية إبان الحرب العالمية الثانية إلى إبادة ما يقرب من خمسة ملايين من يهود أوروبا، وهرب أعداد ضخمة منهم إلى فلسطين.

وكانت هذه هى بداية الجريمة.. جريمة تشريد عرب فلسطين، وقيام إسرائيل فى الوطن العربى، وقد قفز تعدادها إلى أكثر من ٢مليون، وهذا ما تسميه الحركة الصهيونية الاستعمارية بحرب الاستقلال، أو العودة إلى أرض الميعاد.

ولذلك فإن الصهيونية تدعى – كذبًا – أن يهود اليوم هم يهود التوراة، أى أن يهود القرن العشرين بعد الميلاد، هم من أصل وجنس يهود القرن العشرين قبل الميلاد..!

من يصدق ذلك؟!

إن التاريخ والعلم يكذبان هذا الادعاء بشدة، وعبثًا يحاول الإسرائيليون إثبات نقاوتهم الجنسية، فجنس اليهود قد اختلط بأجناس كثيرة بسبب التزاوج والعلاقات الجنسية غير الشرعية، والتحول الدينى على مدى ما يقرب من أربعين قرنًا من الزمان، بحيث يمكن اعتبار أن يهود التوراة قد انقرضوا تمامًا، وهذا ما تؤكده الدراسات العلمية التى أثبتت أنه لا وجه للشبه إطلاقًا بين يهود اليوم ويهود التوراة.

ديسمبر ١٩٦٨

رستم كيلانى.. و.. حياة الحياة

"من حياة الحياة" هى المجموعة القصصية الحادية عشرة والمتوجة لإبداعات الكاتب الكبير الأستاذ "رستم كيلانى"، وهو كاتب معروف ومثابر من أبناء جيل الستينيات، صدرت مجموعته القصصية الأولى "دموع الذكرى" عام ١٩٦٥ وتبعتها مجموعته الثانية "هكذا التقينا" عام ٦٦، ثم مجموعته الثالثة "الجدران الباكية" عام ٦٨.

وعلى مدى العقود الأربعة الماضية توالت أعماله القصصية التى من بينها.. "رفيق العمر"، "قلادة من شوك"، و"لا ترقبى عودتى".. إلى نهاية القائمة حيث أمتعنا مؤخرًا بالمجموعة التى نحن بصددها.

أى أنه أمضى أكثر من أربعين عامًا يتعبد فى محراب القصة القصيرة وحدها، مما يدل على إخلاصه الشديد لذلك الفن الجميل الذى يجمع بين الجاذبية والصعوبة.

ولا يفوتنى أن أشير أيضًا إلى الكتاب المشترك الذى تعاون فى تأليفه وإصداره عام ١٩٧٣ مع الكاتب الكبير الأستاذ "وصفى آل وصفى" عن الأديب العالمى "محمود تيمور" لما لذلك من أهمية خاصة يمكن إدراكها من قولنا أن رستم كيلان يعد من أشهر أبناء المدرسة التيمورية المخلصين، وعنه قال الأستاذ تيمور: "رستم كيلانى كاتب يملى على قلمه ما فى قلبه الخفاق، قصصه تمتاز بعاطفتها الإنسانية الأخاذة".

ولا عجب فى ذلك، فمن يعرف عن قرب رستم كيلانى الإنسان المهذب الخلوق، ويقرأ أدبه الإنسانى الذى يفيض رقة وعذوبة،

يستنتج أنهما وجهان لعملة واحدة، توحى بالصدق والأصالة.

ومجموعته "من حياة الحياة" التى بين أيدينا صدرت مؤخرًا عن نادى القصة، سلسلة الكتاب الفضى، وهى تضم سبع عشرة قصة قصيرة، لا يتسع المجال بطبيعة الحال لتناولها جميعًا، لذلك نشير إلى عناوين بعضها، ونستعرض فى إيجاز مضامين بعضها الآخر.

من العناوين نذكر مثلا قصص: "الموظف الجديد"، "رحلة منديل".. و"اللحن التائه".. ولكن مجرد ذكر العناوين لا يعطينا سوى انطباعات مبهمة، تعجز عن توصيل المعانى ولا تكفى لإشباع فضولنا، لذلك نتوقف عند محتوى بعض القصص آملين أن نستشف ونستخلص أهم السمات الرئيسية لأدب "رستم كيلانى".

فى قصة "وكان لقاء".. يلتقى بطل القصة وابنته الطفلة مع البطلة ومن ظن أنه ابنها الطفل، فى محل بيع مثلجات، حيث أراد كل منهما أن يشترى لطفله كوبًا من الجيلاتى، ولم يذكر لنا الكاتب أى أسماء ربما للتعميم، وبرجوع الذاكرة للماضى يتعرف كل من البطلين على الآخر، ويكتشف صاحبنا أنه أمام حبيبته التى لم يستطع أن يتزوج منها لأن والده أصرَّ على أن يزوجه من ابنة عمه حفاظًا على ثروة العائلة وتقاليدها، وقد اتفق الأب فعلا مع أخيه على ذلك، وأقسم يمينًا بالطلاق أن هذا أمر لا رجعة فيه، فاضطرت حبيبته إلى التضحية بحبها والانسحاب من حياته لينعم بالاستقرار العائلى ولا يُحرم من الميراث، ولما قال لها أنه سمى ابنته على اسمها تخليدًا لذكراها، أخبرته أن الطفل المرافق لها هو ابنها وليس ابنها، وإنما فى الحقيقة هو ابن شقيقتها التى ماتت بعد ولادته، وحرصًا منها على ابن أختها وعلى مستقبله آثرت أن تتزوج من زوج شقيقتها المتوفاة، عسى أن تجد لنفسها عزاءً فى ذلك.

فى قصة "لماذا قتلت؟" نجد أن بطل القصة الشاب اليتيم (الذى لا نعرف اسمه) يعيش مكفولا ومنعمًا فى بيت عمه الستينى المريض،

وزوجة العم الشابة المتعطشة للجنس تلاحقه وتغريه بكل السبل، ولكنه يستعصم بأخلاقه القويمة، التى تأبى عليه أن يخون عمه وصاحب الفضل عليه، غير أنها قرب الفجر تطرق عليه بابه وتلهبه بمفاتنها المكشوفة وعطرها الفواح وهمسها الداعى، حاول أن يمنعها من دخول غرفته فأزاحته من طريقها وألقت بجسدها الثائر العارى على السرير، فلم يملك الشاب إلا أن يستسلم لها ويحتضنها ويغيب معها عن الواقع، غير أنه حين يستفيق يفاجأ بعمه جاثمًا على أرض الغرفة يحتضر، فيغرق في لجة من الحزن والندم، ثم يندفع ليغسل عاره ويقتل امرأة عمه خنقًا.

وقصة ".. وانتهى كل شيء".. الأخيرة فى المجموعة، نلاحظ أن كاتبنا قدم لها تقديمًا موفقًا بعبارة نثرية مكثفة قال فيها:

"الحب هو الحب دائمًا يؤثر التضحية، ويقدم القربان، وينسى الخطايا..".

ومن قراءتنا للنص ندرك أن هذه العبارة خير تعبير عن مضمون القصة، كما قدم لقصته "دموع الذكرى".. الأولى فى المجموعة، ببيت أجاد اختياره من أشعار خاله الشاعر الكبير الأستاذ "قاسم مظهر":

شلت يد الصفو وانهارت أناشيدى وبت أحمل ثقل العمر فى جيدى

وإذا كان قد أهدى قصته "هكذا التقينا".. الثانية فى المجموعة إلى بطلتها التى حكتها له يومًا، فقد أهدى مجموعته كلها.. "إلى صاحبة أكبر مجموعة قصصية فى الوجود.. إلى الحياة".. وما أجمله من إهداء.

أما قصة ".. وانتهى كل شيء" ذاتها فهى قصة زوج يحاول أن يستسمح زوجته الأولى "ابتسام" ليردها إلى عصمته، بعد أن سلبته زوجته الثانية كل أمواله ولفظته لفظ النواة، غير أن الأولى ترفض أن تغفر له خطاياه وتأبى أن تعود إليه حتى لا تكون دمية فى يده يلهو بها كيفما يشاء.

وهكذا يخرج من عندها يائسًا مشتت الفكر فتصدمه سيارة مسرعة على الطريق وتقرأ ابتسام تفاصيل الحادث فى الجريدة فتجزع وتندفع كالمجنونة إلى المستشفى، وهنالك تجده فى غيبوبة تامة، ويخبرها الطبيب أن النصف الأسفل من جسده قد بات مشلولا فتحزن وتبكى من أجله، وحين يعود إليه وعيه يفاجأ بها إلى جانبه ساهرة على خدمته، فيتبادلان نظرات المحبة والامتنان، ويتناجيان ويتواعدان على توثيق ارتباطهما، وتتلامس أيديهما فى حنان وغفران وتوق لاستقبال حياتهما الجديدة، بيد أن يده سريعًا ما ترتخى فى يدها وتصير باردة برودة الموت!

مما نقدم ومن قراءتنا لجميع قصص المجموعة، ومنها قصة "الطفل".. المهداة إلى الأطفال ضحايا الحروب، نقول إننا سعدنا بالمجموعة وبالروح الإنسانية التى تهيمن على قصصها، غير أن ضيق المساحة المتاحة اضطرنا إلى الإيجاز والاكتفاء بالتنويه.. ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نذكر أنها إضافة جيدة لمكتبتنا العربية.

ديسمبر ٢٠٠٦

عبد العزيز إسماعيل.. و.. ذئب القرية(*)

الأديب الكبير القاص والروائى الأستاذ "عبد العزيز إسماعيل" أصدر حتى الآن خمسة كتب مطبوعة على نفقته الخاصة، هى على الترتيب:

رواية "القرية الآثمة" عام ١٩٩٨، مجموعة قصص "طوبى للجياع والمساكين" عام ١٩٩٩، مجموعة قصص "الكوخ" عام ٢٠٠١، رواية "ذئب القرية" عام ٢٠٠١ وهى التى نحن بصددها الآن، والتى تلتها مجموعته القصصية "أغنية الأرض" عام ٢٠٠٢.

وقد فازت روايته "ذئب القرية" بجائزة "نجيب محفوظ" فى مسابقة "الرواية فى مصر والعالم العربى" عام ٢٠٠٢.

وجدير بالذكر أن هذه الرواية تمثل الجزء الثالث من ملحمته الريفية عن "الصراع بين الخير والشر فى نفوس أبناء الريف" التى كان جزءها الأول روايته "القرية الآثمة"، وجزءها الثانى مجموعة قصص "الكوخ"، ونلاحظ أن الملحمة جمعت بين الرواية والقصة القصيرة جنبًا إلى جنب، وأغلب الظن أن مجموعة قصصه القصيرة "أغنية الأرض" التى صدرت مؤخرًا، تندرج أيضًا تحت لواء ملحمته الريفية هذه، هى وروايته "الأرض العطشى"، ومجموعته القصصية "النخيل يموت واقفًا" اللتان ستصدران قريبًا.

ومن خلال أعماله المتعددة يتضح لنا أن كاتبنا المبدع له مع الريف وأهله فيما يبدو تجارب إنسانية متنوعة وثرية، غنية بالقيم

---

* - نشرت فى جمعية الأدباء فى ١٨ يونيو ٢٠٠٣.

والمغانى، ولا نستبعد تأثره أيضًا بعمله السابق فى سلك القضاء، الذى وصل فيه إلى درجة "مستشار"، فلا شك أنه عاش من خلاله مئات القضايا والأحداث التى أثرت فى إبداعه بشكل أو بآخر.

وعبد العزيز إسماعيل فى روايته المتميزة "ذئب القرية" التى بين أيدينا يقدم لنا بأسلوبه السلس المعبر مأساة إنسانية تهز الوجدان، أحداثها تدور فى إحدى قرى الريف المصرى.

الذئب ليس هو ذلك الحيوان المفترس المعروف، وليس ذئبًا بشريًا بالمعنى الجنسى المتعارف عليه، وإنما هو مخلوق ضعيف دميم، لا دخل له فى تسميته "الذئب" سوى ملامح وجهه القميئة المخيفة التى تحمل شكل الذئب، مع أنه فى غاية الهدوء والوداعة.. وديع كالحمل.

"حميدو" الإنسان الطيب، بطل روايتنا، وُلد بوجه مخيف يشبه وجه الذئب إلى حد كبير لدرجة أن أهل القرية أهملوا اسمه الحقيقى وأصبحوا يطلقون عليه اسم الذئب أو "الديب" بلهجتهم العامية، وينفرون ويخافون منه كأنه ذلك الذئب الحيوانى المفترس.

ومولده بهذا الشكل كان صدمة قاسية لأمه التى ترملت وهى حامل فيه، ولكنه فلذة كبدها على كل حال، وابنها اليتيم والوحيد الذى لا بد أن تنظر إليه على أنه رجلها، ولا ينبغى لها أن تنسى أنه هبة الله لها، وهى فعلا كانت تحبه إلى حد جعل الناس يقولون "القرد فى عين أمه غزال".

ولكن، لا أحد غيرها يحب الديب، ولا أحد يريد أن يرى الديب، جميع الأهالى رجالا، ونساءً، كبارًا وصغارًا، يتحاشون ملاقاة الديب، يشيحون بوجوههم عنه، ويبتعدون من طريقه، حتى أقرانه الأطفال، يهزأون به رغم خشيتهم منه، يقذفونه بالحجارة ويعفرونه بالتراب، يسبونه ويضربونه بقسوة، يقولون له "أنت جربان"، ولا يسمحون له باللعب معهم، ولا حتى يتيحون له أن يُحضر لهم الكرة الشراب التى يلعبون بها عندما تفر منهم بعيدًا عنهم.

يعود إلى أمه كسيرًا باكيًا، فتتألم من أجله، ولكنها تقول له:

– من يضربك اضربه، عضه، أنت ذئب كما يقولون، أنت أقوى منهم جميعًا، إذا عملت بنصيحتى هذه لن يضربك أحد بعد ذلك أبدًا.

وعملا بنصيحة أمه، يدافع عن نفسه، فيعض عليوة ابن الداية فى رقبته، ولا يتركها إلا بعد أن تسيل منها الدماء!.. وينتشر خبر تلك الحادثة فى القرية، فيقال عنه أنه "ذئب مسعور"، وتوشك أم عليوة أن تفتك بحميدو، لولا تدخل العمدة الطيب المتعلم، الذى يتعاطف مع حميدو لظروفه الخاصة، والذى يسند إليه عادة بعض الأعمال فى دواره أو فى حقله ليرتزق منها.

"منذ ذلك اليوم، ما جرأت أيدى الصبية على ضربه، وما اجترأ إنسان على سبه".

ويكتسب حميدو بعض الشجاعة والجرأة، فيقوم بشنق "سامبو" كلب "قرنى" وتعليقه فى شجرة الجميز، انتقامًا لنفسه، لأن الكلب وصاحبه اعتديا عليه.

ويمضى الكاتب فى بنائه الفنى المحكم، فيوجه مأساة حميدو نحو ذروتها، حيث تموت أمه وهى تسوى له فطيرة على الكانون، وتلتهم النار البيت كله، فتختل قوى الصبى العقلية، ويهيم على وجهه فى شوارع القرية!

ولكنه الشخص الوحيد الذى يتطوع لإنقاذ عجلة "ستيتة" البكر، التى سقطت فى بئر الساقية وهى تحاول الهرب من مطاردة فحل طلوقة يريد اغتصابها بالقوة.

الساقية مهجورة وماؤها آسن، ويقال إنها مسكونة بالجن، ولكن الفتى اقتحمها فى بطولة تدعو للإعجاب، فكافأته ستيتة ومنحته كوخ زوجها المتوفى ليقيم فيه.

وفى براعة إبداعية يطلعنا الكاتب على قصة الحب الوحيدة

والفريدة فى حياة حميدو القاتمة، ليبث فيها بعض الضياء.

يجمع الحب بينه وبين "صالحة" ابنة "فهيمة" بائعة الفجل، وهى عانس دميمة وعرجاء، وليس لديها أى أمل فى الزواج، ولكن ماذا يهم حميدو من كل ذلك؟!

كل ما يهمه أن صالحة هى الوحيدة التى أشعرته بإنسانيته وآدميته، وهى الوحيدة التى أعربت عن حبها له، وهى الوحيدة التى تناديه باسمه.. حميدو.. وليس الديب، وهى الوحيدة التى تحمل همه وتبتسم له وتلاغيه.

تبادر صالحة فتشترى له سرًا جلبابًا جديدًا وطاقية وبلغة، لكى يلبسهم ويملأ عين أمها وهو يخطبها منها، ويسرع هو سعيدًا فيأتى بكيس نقوده القليلة المدخرة..

بيد أن أمها ترفض خطبته لها فى سخرية واستهزاء، وعناد وإصرار، ويصل بها الأمر إلى التهديد بقتله إذا لم يتراجع وينسحب من حياة ابنتها!

وفى تعنت منقطع النظير ترفض توسلات ابنتها، ومحاولات العمدة للتوفيق، واستعداده لدفع المهر ومصاريف الفرح بالكامل.

ولا تجد صالحة مفرًا من الهرب والذهاب إليه فى كوخه ليعقد عليها ويتزوجها زواجًا شرعيًا غير أنه لا يستجيب لها، لأنه وعد العمدة مسبقًا بعدم اتخاذ مثل هذه الخطوة دون علمه.. فتيأس وتلقى بنفسها فى النهر، ويلحق بها حميدو وهو لا يجيد السباحة، فيغرقان متعانقين معًا، فى نهاية مأساوية تذكرنا بـ"قيس وليلى" و"روميو وجولييت" وغيرهما من العشاق الخالدين.. ولا يبقى إلا أن أحيى الأديب المبدع على إضافته الجميلة لمكتبتنا العربية.

شيخ القصة العربية

محمود تيمور وبنت اليوم(*)

الأديب الكبير الراحل "محمود تيمور"، سوف يظل حيًّا فى فكرنا، وفكر الأجيال من بعدنا، وسوف يظل اسمه فى المقدمة، خالدًا فى تاريخ أدبنا العربى، وتبقى أعماله القيمة فى صدر تراثنا الأدبى، منارًا للأدباء والمفكرين والدارسين.. على مر العصور.

ومحمود تيمور يعد من أبرز مؤسسى النهضة الأدبية الحديثة فى مصر والعالم العربى. وهو شيخ القصة العربية القصيرة، وإمام كتابها، حيث كان له فضل السبق والريادة فى ذلك المجال الجديد آنذاك، والذى لم يكن مطروقًا من قبل، وقت أن كانت جهود الكتاب المصريين الأوائل قاصرة على ترجمة القصص القصير الغربى، والقيام ببعض المحاولات المحدودة فى تأليف القصة المصرية القصيرة. بيد أن تلك المحاولات الأولية لم ترق إطلاقًا إلى مستوى ما كتبه تيمور، فى قصته القصيرة "الشيخ جمعة" التى هى باكورة إنتاجه الأدبى الذى بدأ عام ١٩٢٥.

وبالرغم من أن الشيخ جمعة تعتبر صورة وصفية، وليست قصة قصيرة بالمقاييس المتعارف عليها اليوم، والتى وضعها – فيما بعد – تيمور نفسه، إلا أنها تظل عملا بارزًا ومتميزًا.

ومن بعد الشيخ جمعة، التى اتخذ منها عنوانًا لمجموعته القصصية

---

* – نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ١٣ أغسطس ١٩٧٩.

الأولى، استمر محمود تيمور يكتب فيجيد، ويبتكر فيبدع، حتى تفوق ونجح كل النجاح، وكان وقتئذ يجنح فى كتابته إلى اللهجة العامية المحلية، ولكنه ما لبث أن هجرها، وأقبل على اللغة العربية الفصحى، يطوعها ويستخدمها فى السرد والحوار، فحقق لأدبه المزيد من النجاح والانتشار، فى جميع أنحاء الوطن العربى، من الخليج إلى المحيط.. وأصبح محمود تيمور زعيم القصة العربية المعاصرة.

وتنوع إنتاجه فكتب القصة والرواية والمسرحية، والرحلات والدراسات الأدبية والاجتماعية. وترجمت أعماله إلى عدة لغات، فأصبح محمود تيمور ذلك الأديب العالمى العملاق.

ولقد توج المجمع اللغوى إنتاج تيمور الأدبى، فمنحه جائزته الأولى عام ١٩٤٧. كما اعترفت الدولة بفضله الكبير على القصة المصرية، فمنحته جائزة الدولة للآداب عام ١٩٥٠، كما حصل على جائزة "واصف غالى" فى باريس عام ١٩٥١ عن مجموعته القصصية "عزرائيل القرية" التى ترجمت إلى الفرنسية.

وحظى محمود تيمور بتقدير كبار الأدباء والمفكرين فى العالم.. فقد قال له عميد الأدب العربى الدكتور "طه حسين" – فى خطابه – يوم أن استقبله عضوًا بالمجمع اللغوى:

"وسبقت أنت إلى شىء لا أعرف أن أحدًا شاركك فيه، فى الشرق العربى كله إلى الآن.. وأنك لتوفى حقك إذا قيل إنك أديب عالمى، بأدق معانى هذه الكلمة وأوسعها..".

وكتب عنه عميد المستشرقين فى أوروبا المستشرق الروسى "أغناطيوس كراتشكوفسكى".. قائلا: "إن ما وصل إلينا من مؤلفات تيمور، يدل على أنه أصبح الكاتب المفضل، والمعترف له إجماعًا بالتفوق فى أدب بلاده المعاصر، وإنى لأقرر أن قصة مبتكرة، ذات طابع عربى صميم، قد ولدت فى الأدب العربى".

كما كتب عن تيمور المستشرق المجرى الدكتور "عبد الكريم جرمانيوس".. يقول:

"يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائى المجرد، إلى مصاف الأدباء الفلاسفة، ومعلمى الثقافات، بما يقدم من موضوعات إنسانية ذات أهداف رفيعة".

ولقد تأثر محمود تيمور فى بداية حياته الأدبية بالأساطير الفرعونية والشعبية، كما تأثر بالأديب الفرنسى "جى دى موباسان"، والأديبين الروسيين "أنطون تشيكوف" و"إيفان ترجنيف"، إلا أنه لم يعتنق مذهبًا معينًا، ومضى يبتكر ولا يقلد، حتى أصبح صاحب مدرسة فى الأدب العربى الحديث. ثم تطورت مدرسته من الرومانسية إلى الواقعية، وتخرج منها الكثيرون من كتاب الصف الأول اللامعين.

وبينما كان لمحمود تيمور فضل السبق والريادة فى ميدان القصة القصيرة، فقد سبقه زمنيًا فى مجال الرواية كل من: الدكتور "محمد حسين هيكل" والدكتور "طه حسين" و"توفيق الحكيم".

أما المسرح، فقد حاول محمود تيمور فى البداية أن يجارى شقيقه "محمد تيمور" فى خلق المسرحية المصرية المحلية، والنهوض بها. ولكنه بعد ذلك اشتق لنفسه منهجًا خاصًا تجلت فيه عبقريته، حيث أبدع وتطور وتفوق فى كتابة المسرحيات التاريخية والاجتماعية.

ونظرًا لإيمان تيمور بأن اللغة العربية الفصحى هى خير أداة يصيغ بها فنه، واعتقاده فى الوقت نفسه بأن المسرحية يجب أن تُمَثَّل على المسرح باللغة العامية، فقد كان يطبع كلا من مسرحياته فى كتاب ذى شقين، أحدهما بالفصحى للقراءة، والآخر بالعامية للتمثيل.

ولقد ولد محمود تيمور فى ١٦ يونيه عام ١٨٩٤ بمدينة القاهرة، وهو ابن أسرة عريقة فى الأدب والثقافة. فوالده العلامة "أحمد تيمور"

وعمته الشاعرة "عائشة التيمورية"، وأخوه "محمد تيمور" أحد مؤسسى المسرح العربى الحديث.

وفى منزلهم كان والدهم يعقد الندوات الأدبية بانتظام، فيرتادها كبار الأدباء والعلماء، والمفكرين والمستشرقين.. وعلى رأسهم الشيخ "محمد عبده" و"البارودى".

وفى هذا الجو الثقافى الراقى أتيح لمحمود تيمور أن يطلع على عيون الأدب العربى والغربى، وازدادت فرصته فى الاطلاع حين انقطع عن دراسته فى مدرسة الزراعة العليا، على أثر مرضه الطويل بالتيفوئيد.

ويمكن القول بأن مرض تيمور – وهو فى العشرين من عمره – يمثل نقطة التحول الرئيسية فى حياته، فمن بعد استعانته على مرضه بالقراءة الأدبية، عشق الأدب، وتفرغ لدراسته.

ولم تكد الأيام تمر، حتى أصبح محمود تيمور وأخوه يعقدان الندوات الأدبية للأدباء الشبان، وتلك الندوات كانت تضم الكثيرين ممن عرفناهم فيما بعد.. مثل الدكتور "حسين فوزى" و"زكى طليمات" و"إبراهيم المصرى" وغيرهم.

وهكذا تشكلت ملامح تيمور الأدبية.. ولا يفوتنا أن نسجل بعض العوامل الأخرى التى أثرت فى أدبه، على امتداد حياته الفنية المعطاءة..

فلقد شهد محمود تيمور الحربين العالميتين.. الأولى والثانية، كما عاصر الثورتين الوطنيتين عامى ١٩١٩ و١٩٥٢، وعاش أكبر صراعات الماضى ضد مختلف القوى الاستعمارية.

وفى سبيل أدبه الإنسانى والاجتماعى الرفيع، كان محمود تيمور يسافر إلى أوروبا، ويتصل بالحضارة الغربية، كما كان – وهو ابن الأسرة الثرية الأرستقراطية – يزور الريف المصرى، وخاصة "قويسنا" حيث تمتلك أسرته مزرعة خاصة، فيخالط الفلاحين

والبسطاء، ويعيش مشاكلهم، ويتغلغل فى نفوسهم، ثم يعود ليكتب لنا عن الإنسان المصرى، وأمله فى الحب والحرية، والخير والسلام.

ولئن كان محمود تيمور قد ودعنا، وانتقل إلى رحاب الله فى ٢٥ أغسطس عام ١٩٧٣، إلا أنه سوف يظل حيًّا فى فكرنا، وفكر الأجيال من بعدنا.

فمن أجلنا أفنى تيمور من عمره خمسين عامًا، أنفقها فى عملية الخلق والإبداع، ووهبنا خلالها أكثر من سبعين كتابًا مؤلفًا، تحوى أكثر من أربعمائة قصة قصيرة، وست عشرة مسرحية، وثمانى روايات، والعديد من الرحلات، والدراسات الأدبية واللغوية والاجتماعية.

و"بنت اليوم" التى بين أيدينا الآن، هى المجموعة الأخيرة، والخامسة والعشرون فى سلسلة مجموعات محمود تيمور القصصية. وقد صدرت فى يوليو عام ١٩٧١ قبل رحيل الكاتب بعامين تقريبًا.

والمجموعة مبدوءة بدراسة تحليلية للصحفى الأديب "فتحى الإبيارى" وهو من أبرز المتخصصين فى أدب تيمور، وقد خصه بثلاثة كتب من مؤلفاته، وقد تناول فى دراسته حياة أديبنا الكبير، وعالمه الرحيب، ودوره القيادى فى مولد الأقصوصة العربية، وزعامته لها، وتربعه على عرشها طوال نصف قرن من الزمان.. حيث أصبح شيخ القصة العربية المعاصرة.

ونمضى إلى "بنت اليوم" فنكتشف غياب "نوسة" بطلة القصة، وذلك لأنها فعلا بنت اليوم، الطائشة اللامبالية، التى سمحت لنفسها بالتحرر من جميع القيود العائلية، والخروج على كافة التقاليد الاجتماعية، فأخذت مفتاح شقة الأسرة معها، وذهبت إلى السينما فى حفلتها المسائية، برفقة سيدة من المعارف، سيدة مستهترة، تزوجت ثلاث مرات، وطلقت ست مرات، وكل زواجها عرفى، وهى مدللة ويسمونها "دوللى".

ويعود "فهيم" أبو نوسة وأمها "زكية هانم" من سهرتهما فى إحدى السينمات الأخرى، فيلجتان إلى جارهما "الدكتور راشد" أستاذ الفلسفة بالجامعة، حيث يقضيان فى ضيافته بعض الوقت، ريثما تعود ابنتهما نوسة من السينما وتفتح لهما الشقة.

ومنذ البداية يتضح لنا تأثير البعد الزمنى، والتطور الحضارى، والفكر المستورد، وما ينتج عن كل ذلك من تباين حاد بين أيديولوجية الجيلين.. فالبنت نوسة تصادق سيدة مثل دوللى وتحمل مفتاح الشقة، وتخرج وتدخل وقتما تشاء، وهى لا تذهب مع والديها إلى نفس السينما وإنما تختار لنفسها سينما أخرى، ربما سعيًا وراء فيلم أجنبى من نوع خاص، يرضى شبابها النزق.

ومما يؤسف له أن نوسة لا تعود إلا بعد منتصف الليل، وبعد أن تتمزق أعصاب والديها قلقًا عليها، ويفكران فى الاتصال بشرطة النجدة.

وأثناء تناول طعام العشاء، يدير الكاتب حوارًا فلسفيًا ساخرًا بين الدكتور راشد ووالدى نوسة التى أفسدها تدليل أمها لها..

فهيم (مهتاجًا): نوسة طائشة.. يجب أن نشرف على تصرفاتها.

زكية هانم: لو تركتك تتصرف مع "نوسة" كما تريد لضربت من حولها سورًا من حديد، ولأصبحت المسكينة سجينة حجرتها لا تبرحها.

فهيم: أما أنت فتطلبين لها الحرية بلا قيود ولا حدود ولتكن العاقبة ما تكون.

الدكتور راشد: الحرية لا تؤذى يا صديقى.. إنها مجال صحى للنفس البشرية.. وفتاة مثل "نوسة" نشأتها طيبة، وأسرتها كريمة، وتعليمها جيد، لا خطر عليها من الحرية.

فهيم: أنت تتكلم عن النشأة والأسرة والتعليم، ولكن ماذا تصنع كل هذه العوامل أمام التيارات الجارفة التى يتعرض لها شباب الجيل؟!

بمثل هذا الحوار الفنى السلس يقدم لنا الكاتب مضمون القصة، وجوهر القضية، حيث نشاركه إحساسه بالمرارة، ونشفق على شباب هذا الجيل من الضياع والخسران، فى دنيا ضاعت فيها كل القيم الرفيعة.

ونغرق فى الدهشة، ويتملكنا الذهول، حين تصرخ فينا تلك المفاجأة العصرية.. فنوسة التى تسىء استخدام الحرية، لا تعود بعد منتصف الليل وحسب، وإنما تعود مسبوقة بزغاريد رفيقتها دوللى. وذلك لأن البنت نوسة نفسها قد تمت خطبتها إلى شاب يدعى "فالح"، تصادف أن جلس بجوارها فى السينما.

ففى جرأة بالغة تعلن نوسة لأهلها، أن فالح الذى رآها لأول مرة فى السينما، غازلها وخطبها، وقبلها، وهما يتابعان قصة عاشقين فى الفيلم.. وبعد الخروج من السينما، قدم لها خاتم الخطبة، وراقصها فى ناد ليلى، حيث شربا وأكلا.. ومعهما دوللى.

ثم أوصلهما بسيارته إلى البيت، وذهب ليعود بعد قليل على أن يتم عقد القران فى الحال.. والسفر بعد ساعة واحدة، لقضاء "شهر العسل" فى الخارج.

وينهار الأب، وتفرح الأم، ويتساءل الدكتور راشد عن العريس..

الدكتور راشد: وثقافته؟

دوللى: عنده شهادات كثيرة، وجوائز أكثر.

نوسة: بطل فى كرة القدم.

فهيم (وهو يبتلع ريقه، هزيل الصوت): كرة القدم.. وهل يكسب من كرة القدم؟

دوللى: يكسب الألوف المؤلفة، كن مطمئنًا، محفظته عامرة.

ويحضر فالح ومعه المأذون، وعلى وجه السرعة، وبدون مهر، يتم عقد القران على جهاز تسجيل.. فالعريس قد أنهى بالفعل إجراءات سفر عروسه فى صحبته للخارج.. و"الهليكوبتر" سوف

تنقلهما فورًا من ميدان التحرير إلى مطار القاهرة الدولى.. وفى دقائق معدودة، وبعد وداع خاطف، ينصرف العروسان.

هكذا يتم كل شىء بسرعة صاروخية، ويبقى الوالدان فيما يشبه الغيبوبة، يترنحان على حافة الجنون، ويتساءلان فى يأس وذهول: هل تزوجت ابنتهما أم اختطفت؟!

وتحاول الأم أن تستدعى شرطة النجدة، ولكن الأب يطلب منها أن ترافقه إلى "مستشفى المجاذيب".

ولقد أراد محمود تيمور بقصته الجديدة هذه، أن ينبهنا فى غير افتعال، إلى الدوامة التى توشك أن تبتلع شباب هذا الجيل، إذا نحن تهاونا فى رعايته، وتركنا تيارات الزيف تعصف به، وتنتزع منه ما يجب الحفاظ عليه من القيم والمبادئ.

ولقد قدم لنا الكاتب رؤيته الفلسفية الساخرة فى شكل قصة تمثيلية، رائعة الحوار محكمة البناء، تصلح لأن تكون مسرحية ذات فصل واحد.. وهى مشبعة بملامح عصر التكنولوجيا، والصعود إلى الكواكب، وتفيض بالحيوية والديناميكية.

.وإلى جانب "بنت اليوم" تحتوى المجموعة على اثنتى عشرة قصة جديدة، تحفل بالنماذج البشرية المختلفة، التى يلتقطها محمود تيمور، فيعايشها، ويغوص فى داخلها، ويتناول أعماقها بالكشف والتحليل، ويتفهم مشاكلها النفسية والحياتية، ومن خلال ذلك يعالج الكثير من قضايانا الإنسانية والاجتماعية.

ففى قصة "صنديد" يتم زرع عينين جديدتين لأحد القضاة بدلا من عينيه التالفتين، وتعود إليه نعمة الإبصار، فيحاول جاهدًا أن يعرف صاحب العينين، الذى تفضل عليه فجعله يرى الدنيا من جديد.

ويخبره الطبيب بأن صاحب عينيه الجديدتين هو المجرم "صنديد" الذى حكم عليه بالإعدام فى آخر قضية عرضت عليه، قبل أن يحال

إلى المعاش، فتتأزم نفسية القاضي.. ويحدّث نفسه:

"كأنى قتلته لأظفر بعينيه.. لقد كنت أداة هلاك له، على حين كان هو مصدر نور لى".

ويعود القاضي فيدرس من جديد ملف القضية، ويراجع حيثيات الحكم، فيكتشف أنه قد ظلم صنديد حين حكم عليه بالإعدام، بينما كانت ملابسات القضية تحمل فى طياتها ما يوجب عليه أن يخفف الحكم، ويترك صنديد يستمتع بنعمة الحياة.

وتزداد نفسية القاضي تأزمًا، ويسيطر عليه الإحساس بالذنب، ولا يجد لنفسه مخرجًا، فيلجأ إلى إعداد بحث إنسانى، يخاطب فيه زملاءه رجال القضاء والقانون، ويدعوهم إلى وضع أسس جديدة لمجتمع جديد، تسوده العدالة الصحيحة، وتشيع فيه الرحمة الحقة.

ولقد كان محمود تيمور، فى أدبه وفنه يدعونا للإيمان بالقيم والمبادئ، والحب والحرية، والخير والسلام، وما شابه من المعانى الإنسانية النبيلة، التى تكتمل بها إنسانية الإنسان.. ولم يكن الكاتب ليصرح لنا بدعوته، وإنما كان بمقدرته الفنية يجعلها تسرى فى الفكر والوجدان منا.

وكما لمسنا هذه الدعوة فى "بنت اليوم" و"صنديد"، فإننا نستطيع أن نحس بها فى معظم قصص المجموعة..

ففى قصة "شندويل يبحث عن عروس" يتكفل أحد رجال الخير، بشندويل اليتيم الأبوين، وإذ يموت الرجل، يصبح شندويل هو راعى الأسرة، المكونة من الأرملة وبناتها الثلاث.. وفى حرص على القيم والأخلاق، يحافظ شندويل على شرف الأسرة، وكلما فكر فى التقدم للزواج من إحدى البنات الثلاث، يفاجأ بأن غيره قد سبقه إليها، فيتجه أخيرًا بحبه إلى سيدته الأرملة ويتزوجها، وفى ذلك انتصار للحب على جميع الفوارق الاجتماعية.

وفى قصة "العيد له ضحية" يضرب لنا "أبو محمد" وزوجته مثلا أعلى.. فهو سائق سيارة أجرة، ورغمًا عنه تفتك سيارته بإحدى السيدات، فيتخلص من جثتها خوفًا من العقاب، ويعود إلى بيته ليتمتع بقضاء العيد مع أسرته، ولكن زوجته تطلب منه أن يسلم نفسه للشرطة، ويعترف بما حدث.. فيفعل.

ولقد كان أديبنا الإنسان، يطارد ذوى الأقنعة المزيفة فى مجتمعنا ويفضحهم أينما وجدهم..

ففى قصة "شفاه ظامئة" نجد بعض الأزواج الذين يتحدثون عن الشرف والأمانة الزوجية.. ثم يمارسون الخيانة فى الخفاء.

وفى قصة "ظلام ونور" نجد بائعة الهوى التى تلطخ وجهها بالأصباغ والمساحيق، لتعجب المريدين ليلا، ولكن من يقع فى هواها ليلا، لا يملك إلا أن يفر منها، حين يرى وجهها فى ضوء النهار.

وعمومًا، فإن قصص المجموعة، ذات المنهج الواقعى، والروح الإنسانية، تتميز بجمال الأسلوب، وثراء المضمون، وجودة التكنيك الفنى.

ومما لا شك فيه أن "بنت اليوم" تعد إضافة قيمة لمكتبتنا العربية، وهى خير هدية قدمها لنا أديبنا الكبير محمود تيمور، قبل أن ينتقل إلى رحاب الله.

محمد عبد الحليم عبد الله

وقصة لم تتم(*)

قصة لم تتم هى سبعة فصول من آخر عمل روائى، كان الأديب الكبير محمد عبد الحليم عبد الله يكتبه قبل أن ينتقل إلى رحاب الله.

أثناء قراءتى لهذه الفصول، كنت أود ألا أصل إلى نهايتها أبدًا.. فما أقسى ما تعنيه تلك النهاية.. إنها ليست النهاية التى أرادها الكاتب لروايته، ولكنها النهاية التى أرادها الله للرواية والكاتب معًا.

وبالرغم من حبنا للكاتب، فقد أصبحنا مضطرين لأن نتبع تاريخ ميلاده بتاريخ آخر.. هو تاريخ وفاته.

ولقد ولد محمد عبد الحليم عبد الله فى ٣٠ مارس عام ١٩١٣ بقرية كفر بولين مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة - جمهورية مصر العربية.

وتوفى فى ٣٠ يونيو عام ١٩٧٠ بعد حياة حافلة ومضنية.

وإن كان لنا عزاء، فهو تلك الثروة القيمة من الأعمال الروائية والقصصية، التى وهبها لنا الكاتب قبل أن يرحل إلى دار البقاء، وهى أعمال جديرة بالخلود، وسوف تقرأها الأجيال من بعدنا.

ولقد حصل محمد عبد الحليم عبد الله على دبلوم دار العلوم عام ١٩٣٧، وعمل محررا بمجمع اللغة العربية.. وكانت أول رواية نشرها هى "لقيطة" عام ١٩٤٧.. وبلغ مجموع أعماله اثنتى عشرة

---

* - نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ٢٨ يونيو ١٩٧٨.

رواية وتسع مجموعات قصصية، أخذ بعضها طريقه إلى السينما والإذاعة والتليفزيون.. وعديد من الأحاديث والمقالات الأدبية، نشرت في مختلف الصحف والمجلات.

وثمة رواية أخيرة، لم يمهله الموت حتى يتم كتاباتها.. ونظرًا لأنه كان يؤمن بأن عنوان العمل الفني ينبثق من داخله، فهو لم يكن يضع عناوين مؤلفاته إلا بعد انتهائه من كتابتها.. وبالتالي.. فقد ترك هذه الفصول السبعة من روايته الأخيرة.. بلا عنوان.. وقد سميت فيما بعد تسمية انبثقت من داخلها فعلا.. فهي "قصة لم تتم".

والحديث عن محمد عبد الحليم عبد الله، يثير قضية هامة، فكثيرًا ما ارتفعت الشكوى من أننا قوم لا نهتم بتكريم كبار أدبائنا وفنانينا أثناء حياتهم، ولا نعرف قيمتهم الحقيقية إلا بعد وفاتهم.. ولكنني أعتقد أن محمد عبد الحليم عبد الله، لم ينل حظه من التكريم.. لا أثناء حياته، ولا بعد وفاته – ولكي أكون أمينًا، فإنني أذكر أن روايته "شمس الخريف" حظيت بجائزة الدولة للأدب عام ١٩٥٣ أي وهو في الأربعين من عمره. وكانت تلك هي المرة الوحيدة التي تم فيها تكريم محمد عبد الحليم عبد الله، من قبل الدولة، بيد أنه عاش سبعة عشر عامًا، مليئة بالعمل الجاد، والإنتاج الخلاق، فكان له دوره الفعال في إثراء المكتبة العربية، وكان بذلك مستحقًا للمزيد من التكريم والتقدير.. ولكنه لم يحصل على شيء.. اللهم إلا حب قرّائه له، وإعجابهم بما يكتب.

أما بعد وفاته، فها هي ذكراه تكاد تمر في صمت وهدوء دون أن يشعر بها أحد.

وقصة "لم تتم"، يضمها كتاب مبدوء بدراسة مطولة، كتبها المستشرق الدومنيكي الأب "جوردان موتو" تحت عنوان "محمد عبدالحليم عبد الله.. روائي الدلتا".. وقد تناولت الدراسة الإنتاج الروائي للكاتب إلى ما قبل عام ١٩٦٦.. (وهو تاريخ نشرها في

المجلد الثامن لمجلة ميديو).

وقد استهل الدارس دراسته بعرض شامل لروايتى "الجنة العذراء" و"شمس الخريف".. ثم استخرج الخصائص الفنية والمفاهيم الأساسية فى الإنتاج الروائى للكاتب، ناظرًا إليه من بضع زوايا هى: البطل.. معنى الحياة.. المرأة.. الدين.. المجتمع.. الشكل الأدبى.

وثمة دراسة أخرى كتبها "يوسف الشارونى" تحت عنوان "قصة لم تتم ودلالتها فى التطوير الروائى عند محمد عبد الحليم عبد الله".

وقد أشار الأديب الدارس إلى نشأة الكاتب الريفية، وأثرها على أدبه فى مرحلته الأولى. ثم ذكر أنه انتقل إلى مدينة دمنهور ومنها إلى القاهرة لتلقى العلم، وبين انعكاس ذلك على أبطال رواياته وقصصه.. ومضى يكشف لنا عن ملامح التطور الروائى عند الكاتب من حيث الموضوع والشخصيات والأسلوب.. متناولا بعض رواياته، مع عناية خاصة بالرواية التى بين أيدينا.

ونستعرض معًا قصة لم تتم، فنجد أنها قصة جماعة من الأصدقاء المثقفين، جمع بينهم تقارب اتجاهاتهم الفكرية، وحبهم لأستاذهم ووالدهم الروحى الدكتور أمين.

فى المساء نرى الدكتور أمين، أستاذ التاريخ يغادر بيته، ويذهب فيطوف حول جامعة القاهرة ثم يتوقف أمام كلية الآداب، وقد استبد به القلق.. إنه يسترجع ذكرياته فى رحاب الجامعة، بعد أن اعتزل الخدمة، لبلوغه سن المعاش.

يودع الدكتور أمين الجامعة، ويعود إلى بيته فى مصر الجديدة، حتى لا يتأخر على من ينتظرونه من تلاميذه، الذين أرادوا أن يكونوا إلى جانبه ليلة اعتزاله الخدمة.. وهى بطبيعة الحال ليلة عيد ميلاده.

نلتقى مع الدكتور بتلاميذه الأصدقاء.. منى المنشاوى، صحفية لامعة، زوجها مفقود فى حرب يونيو ١٩٦٧.. فتحى سالم، مكفوف

البصر سليم البصيرة درس الفلسفة بإحدى جامعات فرنسا.. زهير أبو على ثرى وابن تاجر أسلحة.. وأخيرًا.. فهمى سكر، وهو مدرس محدود الدخل.. أما الدكتور أمين نفسه فهو رجل مطمئن، شعار من يحبهم هو كلمة "لا خوف".. وعنده شيء (معنوى) يستطيع أن يمنحه للخائفين، فيزول عنهم خوفهم.

يلتف التلاميذ حول أستاذهم، ويدور بينهم حديث شيق متنوع الاتجاهات، يتخلله حوار فلسفى عن الحرب والموت.. والخوف والحقيقة.. وتقدم منى المنشاوى هدية رمزية لأستاذها هى عبارة عن عدسة بللورية.. (يبحث بها عن الحقائق فى خفايا التاريخ).

وبالرغم من أن منى قد فقدت زوجها فى الحرب، ولا تعرف إن كان حيًّا أم ميتًا – وقد مات أبوها من قبل – فإنها تبدو مثل مدينة شامخة أبت أن تطفئ الأنوار، إذ تضغط أحزانها فى أعماق نفسها وتحاول أن تتجاوزها بالاستغراق فى العمل، وممارسة الحياة، وتبادل الحب الإنسانى فى صدق ونقاء مع المحيطين بها من الناس..

نموذج رائع رسمه محمد عبد الحليم عبد الله للمرأة المصرية المثقفة والعاملة، فى النصف الثانى من القرن العشرين.. وهو يعبر عن رأيه حين يقول.. "الحياة عند منى معناها سعة الموجة التى يحدثها الشخص عندما يلقى به القدر على صفحة الدنيا".

وتجرى أفكار الكاتب على لسان منى فتقول.. "كأن كل من فى هذه الحياة كرمة، عليها أن تقيم لنفسها دعائمها، وإلا زحفت على الأرض كالكسيح، وأصبحت بعد قليل لا ورق ولا عناقيد".

ويراها أصدقاؤها صحفية ومفكرة، وامرأة ذات جمال وأنوثة، فيعجبون لمقدرتها على معايشتهم، وكأنها قد أعدمت "الجنس" فلم يعد له وجود فى حياتها على الإطلاق.. وكثيرًا ما يفكر فيها أحدهم (يخبث) ولكنه سريعًا ما يئد تفكيره فى الحال، لتأكده من استحالة تحققه.

ويتخذ الكاتب من مأساة السيدة منى المنشاوى، ومن الفترة الحرجة التى كنا نعيشها اجتماعيًا وتاريخيًا عقب نكسة ١٩٦٧ منطلقًا لمناقشة قضية الحرب والموت، وهى هدفه الأساسى من روايته فيما يبدو، وهو بطبيعة الحال، لم يعش حتى يشهد انتصارنا المجيد فى أكتوبر ١٩٧٣.

وهو يربط بين "النكسة" وبين طبيعة حياتنا التى كنا نحياها آنذاك، بمقدرة فنية فائقة، وأسلوب قوى رصين ينضح بمرارة الأحداث، وينم عن معاناته وآلامه النفسية وهو يعايش تلك الأحداث، التى أوقعتنا فيها النكسة.

يقول فهمى سكر "كنت أسير فى شوارع المدينة بعد الفجيعة التى وقعت وأنا أعجب.. لماذا لا يلطم الرجل وجه الرجل الذى يلقاه فى الشارع؟!

ويقول فتحى سالم.. "نحن الآن يا منى فى هذه الفترة من تاريخنا، لا يكاد أحدنا يبدأ بفكرة حتى ينسى بماذا بدأ، والتاريخ الواقف هذه الأيام أمام سبورة الزمن يبدو كمدرس مرتبك، يكتب ويمحو حتى تستقر الصورة".

ويمضى أديبنا للفيلسوف فى تعميق مضمون روايته، من خلال مهارته فى توظيف الحوار، فيحلل ويستنتج ويعالج، فى حكمة بالغة، وبناء محكم..

يقول فهمى سكر.. "نحن محتاجون للموت فى مصر، ومحتاجون لأن نتخذه وسيلة إلى غاية، وعلينا الآن أن نعاود الموت بطريقة جديدة".

ألا ما أشد التطابق، بين رؤية الكاتب قبل سنوات، وبين ما حدث بعدها فى أكتوبر ١٩٧٣. حيث اتخذنا الموت وسيلة إلى غاية ومارسناه بطريقة جديدة، فكتب النصر لنا، ولعل الكثيرين ممن ماتوا فى سبيلنا، رددوا فى أنفسهم، ما ردده كاتبنا من قول غاندى: "يجب

ألا نخاف الموت، إلا إذا خفنا استبدال ثوب بثوب".. فكرة فلسفية قد تبدو بسيطة ولكنها تحتاج إلى أبطال مؤمنين.

لقد نجح الكاتب تمامًا فى أن يقدم لنا فلسفته العميقة، من خلال أبطال روايته، والأبعاد التى رسمها لكل منهم، والحوار الفنى المكثف الذى أنطقهم به، متفاعلين مع الواقع الحى المتأزم الذى أوجدهم فيه، حيث لم يكونوا وحدهم، بل كنا جميعنا معهم أيضًا..

تقول منى المنشاوى.. "إن الله قال لنا بلغة الطوفان، إن الحرب فى سبيل بناء صرح كبير، لا ضير عليها إن هدمت أكواخ اليتامى والفقراء، لتستعمل لبناتها وأخشابها فى بناء الصرح العالى".

ومنى المنشاوى لم تفقد الأمل كلية، فهى أحيانًا لا تنام الليل ويخيل إليها أن زوجها فى الغرفة المجاورة.

ويحضر إليها من ينبئها بأنه لا يزال على قيد الحياة، فتسافر إلى الأردن لتبحث عنه فى المستشفيات، فترى من فقدوا ذاكرتهم، ومن أصابتهم عضة الحرب.. وتعود مقتنعة بأن الموت فى الحروب هو أقل ما يجب أن يثير أحزاننا.. وتقبل ابنها "عمرو".

وينظر الكاتب إلى قضية الموت والحرب من مختلف الزوايا.. فزهير أبو على يخاف الموت بينما أبوه تاجر الأسلحة يبيع الموت ويدبر حوادث القتل للناس، بصورة جعلت الابن يعتقد أن الموت لم يعد من فعل الله وحده!

ومن تجارة الموت، يجمع الأب ثروة فاحشة، ويصبح ذا بأس ومكانة اجتماعية.. ما أبشعها من صورة يرمز بها الكاتب لتجار الحرب والموت فى جميع أنحاء العالم.

يموت الدكتور أمين.. وتنتقل لقاءات الأصدقاء إلى بيت فتحى سالم.. وإذا كنا منذ بداية الرواية نشعر أن منى المنشاوى تحترم فتحى سالم المثقف.. الكفيف الأعزب احترامًا عميقًا وتعامله برقة

ومودة، فإننا فى النهاية نكاد نحس بالدفء يتسرب إلى مشـــاعر كـــل منهما تجاه الآخر..

فماذا نتوقع لهما.. دوام الصداقة الفريدة.. أم تلونها بلون آخر؟!

وهل يعود للزوج الغائب؟!

لا أحد يعلم.. تلك أسرار أخذها الكاتب معه ومضى إلى رحاب الله.

آمال وأقدار ثروت أباظة

الكاتب الروائى ثروت أباظة، شفاه الله وعافاه، مفكر كبير، وأديب مبدع، يكتب الرواية والمسرحية، والقصة القصيرة والمقال الصحفى، ويمتع الملايين من قرائه ومحبيه بفكره الراقى وأدبه الرفيع، منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. وهو من صفوة مفكرى وكتـاب القصـة، أثرى الأدب العربى بما يزيد عن أربعين كتابًا. وأخذت معظم أعماله طريقها إلى الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسـرح، فضـلا عـن الترجمة إلى لغات أخرى. وقـد حصـل علـى جـائزتى الدولـة.. التشجيعية ثم التقديرية.

وعلى ذلك فهو قد أسهم بإنتاجه الغزير المتنوع فى تشكيل وعـى ووجدان أجيالنا العربية، وتطوير مفاهيم ومعطيات ثقافتنـا القوميـة، وأعتقد أن الكثيرين من كتابنا اليوم، خرجوا من معطف أستاذنا الكبير ثروت أباظة، بعد أن فتح لهم أبواب فكره الشامل، وأخذ بأيديهم إلـى وسائل النشر المختلفة.

و.. "آمال وأقدار" هى أحدث رواية نشرها أديبنا القـدير ثـروت أباظة، وهى اجتماعية المضمون، إنسانية الهموم والأهداف، تنتمـى إلى المذهب الواقعى، الذى تعودناه وأحببناه من كاتبنا الجاد الملتـزم، بمجمل القيم الإنسانية والدينية، وقضايا العدل والحرية، التى يقدمها لنا فى أجمل الأشكال الإبداعية والفنية.

وجدير بالذكر، أنه لم يجنح يومًا إلى العبث واللامعقول والإبهـام والغموض، لإدراكه الصادق أنه لا فائدة ترجى من أدب غير مفهـوم للقارئ، وربما للكاتب أيضًا على حدٍّ سواء، وبالتالى، فلا حياة له.

وقديمًا حدثنى الأستاذ ثروت أباظة حول هذا الموضوع قائلا:

- أنا أرفض ما لا أفهم!

وفى سخرية أضاف:

- ومن غير المعقول أن أستعين بمترجم يترجم لى ذلك الأدب الغامض إلى نفس لغته التى كتب بها!

واستطرد يقول:

- أنا واثق أن هذا الاتجاه من الأدب، سيقضى على نفسه بنفسه!

وكان له الحق فى كل ما قال، وقد نشرت الحديث كاملا فى حينه، بمجلة البيان الكويتية، منذ أكثر من ربع قرن.

ونمضى إلى "آمال وأقدار"، فنجد أنها رواية ديناميكية، تتنقل بنا ما بين الريف والمدينة، وهى غنية بالنماذج البشرية المنحرفة والمعتدلة، والمتصارعة بطبيعة الحال.

أبو سريع علوان، الصراف البخيل، نلتقى به بعد أن تقاعد عن العمل مبكرًا، حيث ادخر أموالا بطرق شتى، واشترى أرضًا فى قريته بالشرقية، أضافها إلى ميراثه من أبيه، ليلتحق بطبقة أعيان البلد، كمرحلة أولى مما خطط لنفسه.

ويستدعيه وجدى بك، أغنى أغنياء المنطقة، والمالك لمائة فدان، ليدير له حساباته، ويشرف على الكاتبين لديه، مقابل راتب شهرى.

فيستعين به أبو سريع فى توظيف ابنه الوحيد لطفى، الذى تخرج من كلية تجارة القاهرة، بعد معاناة قاسية فى المعيشة بسبب شح أبيه.. ذلك الأب الذى يختار لابنه بالتحديد البنك الاستثمارى الذى يتعامل معه وجدى بك، وبالفعل يتم تعيين الابن فى قسم الائتمان بالذات.

ومن القاهرة نعود إلى الشرقية، حيث يعيش فى قرية مجاورة السفاح عيدروس النمر، القاتل المحترف، زعيم عصابة القتل بالأجر، واغتصاب الأراضى بالقوة، الذى يرهب أهالى المنطقة بأسرها، ولا

يتورع عن الاستيلاء على ميراث أخيه وأختيه من الأرض بالأمر الجبرى، لقاء ثمن بخس، وبذلك يصبح من أعيان المنطقة، إضافة إلى سطوته وجبروته.

وابنته الوحيدة والدميمة جدًّا سعدية، فشلت فى الدراسة، ولم يجدها نفعًا ما تلقته من شرح للمعلومات على يدى أبى سريع وابنه لطفى.

ولكن لطفى أبو سريع يقدم على الزواج منها، مع سبق التخطيط والإصرار، رغم دمامتها الشديدة، لأنه مثل أبيه ينشد الثراء السريع، وهى الابنة الوحيدة لأبيها الغنى، وما تملكه أو ترثه سوف يؤول بشكل أو بآخر، إلى من يكون زوجًا لها، ويعجب أبوه بتفكيره فيخطبها له.

ويدرك السفاح طبعًا هدف تلك الزيجة ولكنه يتغاضى، لعلمه أن لطفى يخافه كغيره من الناس، وسيكون خادمًا مطيعًا لابنته، ولن يجرؤ على المساس بممتلكاتها وهو، الأب، على قيد الحياة، لذلك كتب وسجل لها كل ما يملك على أنه بيع وشراء، حتى لا يترك أى ميراث من بعده لإخوته! واتخذ من لطفى أحد الشاهدين فى الشهر العقارى.

تودع إحدى النساء المطلقات قيمة نفقتها ومؤخر صداقها لدى أبى سريع بدون إيصال، خوفًا من استيلاء أبيها عليها، فيردها إليها وقت طلبها، ويشتهر بين الناس بالأمانة كما أراد، ويحج طمعًا فى لقب الحاج.

وتتوالى عليه الودائع والأمانات، التى من بينها مبلغ ألف وستمائة جنيه، تخص الشيخ عبد الحميد أبو جريشة المقرئ الكفيف، الذى ادخرها طوال عمره الماضى، بمشقة بالغة، وتضحيات كثيرة، ويعتزم أن يتزوج بها قمر العوراء، رغم أن صديقه المبصر سلامة مرسى، أخبره أنها قبيحة الشكل، ويدور بينهما حوار فلسفى جميل، مؤداه أنه كفيف ولن يرى قبح عروسه، ولن يضيره كونها عوراء، كما أنها وهى العوراء القبيحة، لن تجد زوجًا أفضل من كفيف، وعينها الواحدة سوف تكفيهما ليريا بها معًا!

وفي الرواية، كم من مقاطع حوارية عميقة وممتعة، غاية في الجمال والروعة، كنت أود أن أضع بعضا منها أمام القراء الأعزاء، بيد أنني أخشى ألا تتسع المساحة المتاحة، فأعود وأواصل..

يستمع أبو سريع صدفة وخفية إلى حوار بين عيدروس السفاح، وشمندى رئيس عصابته، حيث يأمره وزملاءه بقتل سعفان الأشهب وأسرته جميعًا، يوم منتصف الشهر، في عقر دارهم، وهم يتناولون عشاءهم، لرفضهم التخلي له عن أرضهم!

فيخشى أبو سريع أن يأمر بقتله هو أيضًا، لو علم أنه سمع ذلك الحوار، وهو في نفس الوقت، يرغب في التخلص من ذلك السفاح، لكي تضع ابنته سعدية يدها بشكل حقيقي على جميع أراضيه وعقاراته، التي سبق أن امتلكتها منه رسميًا، ولكن مع وقف التنفيذ طالما بقي حيًا، أما إذا أخذته أي داهية، فمن الممكن أن تصبح كل الممتلكات وكأنها في حوزة لطفي زوج سعدية.

لذلك يسارع بإبلاغ الموضوع إلى وجدي بك، الذي يبلغ بدوره الشرطة، فتقوم بعمل كمين للعصابة، وتلقي القبض على أفرادها. الذين يقتل منهم زردق في الهجوم، بينما يسقط زعيمهم عيدروس في غيبوبة الموت، وبذلك يكون أبو سريع قد تخلص منه.

منذ البداية، يطمع أبو سريع في أن يغدو من أصحاب الملايين، الذين يقرأ عنهم في الصحف، فيبيع أرضه إلى وجدي بك، ويأخذ ثمنها ومجموع ودائع الناس لديه، ويهاجر إلى القاهرة، ويستولي على قطعة أرض مباني مجهولة المالك، بواسطة سمسار وموظفين مزورين مرتشين. وبضمان تلك الأرض، وبمساعدة ابنه لطفي، يحصل على قرض كبير من البنك، ويكرر ذلك أكثر من مرة، ويصبح من رجال الأعمال، وقد اشترط عليه ابنه أن يقاسمه في الأرباح، مقابل تسهيل حصوله على القروض.. وفعلا يصيران من أصحاب الملايين، بتلك الطرق غير المشروعة!

يثور أصحاب الودائع المنهوبة، ويلجأون إلى وجدى بك، فيواجه أبا سريع، ولكنه ينكر نهائيًا استلامه لأى ودائع، ولا يستطيع أحد تقديم أى إثبات يدينه.

ويصمم الشيخ عبد الحميد أبو جريشة المقرئ الكفيف على الانتقام، وتساعده الظروف، فزوجة زردق رجل العصابة الذى قتل، قد أودعت لديه مسدس القتيل، الذى اختفى ولم يره رجال الشرطة، حتى لا يضبطونه فيما بعد، وطبعًا لن يخطر على بال أحد أن كفيفًا يقتنى أو يخبئ مسدسًا.

يأخذ الكفيف صديقه المبصر معه، ليريه العمارة الفاخرة التى يمتلكها ويسكنها أبو سريع بحى المهندسين، وفى لحظة الاستقبال يسلم عليه الشيخ بيسراه، مدعيًا أن يمناه مجروحة، ويحتفظ بيد غريمه أبى سريع فى يده اليسرى، وكأنه يسلم عليه بشدة وحرارة، وبسرعة يخرج يده اليمنى من مخبئها بجيب الكاكولا وبها المسدس، ويفرغ رصاصاته الست فى جسم أبى سريع فيرديه قتيلا.

ونرى الذهول الناجم عن مفاجأة القتل غير المتوقع من كفيف لمبصر، نراه فى عينى القتيل، وعينى الصديق المبصر المرافق للشيخ، الذى لم يكن لديه أى علم مسبق بما حدث، ولا حتى بوجود المسدس، وبكل ثبات يطلب منه الكفيف القاتل أن يبلغ الشرطة، فهو مستعد لكل شىء.

وهى وإن كانت جريمة قتل، إلا أن روعة الحبكة الدرامية، التى شيد أركانها، ونسج خيوطها كاتبنا القدير فى غير حاجة إلى تعليق.

ويتقبل الشيخ الكفيف الحكم بسجنه خمسة عشر عامًا بنفس راضية، ويكون تعليقه، أنه سوف يضمن قوت أيامه طوال سنوات السجن!

ويعود من الخارج الدكتور وائل نعمان الذى يدرس الدكتوراه، وموضوع رسالته أثر الأدب الفرنسى فى الأدب العربى، ويفاجأ بأن

أرضه قد اغتصبت، فيلجأ للقضاء، وتتكشف كل جرائم المرحوم أبى سريع وابنه لطفى، فى اغتصاب الأراضى والتزوير، والنصب والاحتيال، وقد مر علينا مقتل الأب، أما الابن فيعاقب بالسجن عشر سنوات، ومصادرة أمواله هو وأسرته جميعًا.

إذن، عايشنا أبا سريع وابنه لطفى، وعيدروس زعيم العصابة، الذين هم نماذج بشرية صارخة لأولئك اللصوص والبلطجية المنتشرين حولنا بكثرة هذه الأيام.. وقد كشفهم لنا ابن الشرقية، الراوى الحقوقى الكبير، وأخضعهم لمحاكمات عادلة.

وجوانب هذه الرواية الاجتماعية فى مضمونها، ليست كلها مأساوية قاتمة، وإنما نجد فيها أيضًا الجانب المشرق المضىء، المتمثل فى وجدى بك، كبير أغنياء القرية وأسرته العريقة، وهو يقيم بصفة أساسية فى القرية، حيث أملاكه الواسعة، ويملك أيضًا بيتًا فى القاهرة، يكثر من التردد عليه، والإقامة فيه أحيانًا، لمقتضيات عائلية حميدة، ولكنه أبدًا لا ينسلخ عن أهل قريته.

نراه بإنسانيته الصادقة، يفكر فيهم، ويهتم بهم، ومن أجلهم يبحث عن الحق والعدل، ويعمل على نصرة المظلومين المفترى عليهم، الذين بطش بهم أبو سريع أو صنوه عيدروس، أمثال الشيخ عبدالحميد أبو جريشة، المقرئ الكفيف الذى لا يمكن أن ننساه.

ثم نجد ابن وجدى بك، تامر طيب الخلق، الذى يبدأ تعليمه فى المدارس الفرنسية، ربما لأن أمه صالحة هانم فرنسية الثقافة، وهى ابنة مستشار، وذات حسب ونسب، إضافة إلى أن الأب وجدى بك واسع الثراء كما رأينا.

يتخرج تامر من كلية الحقوق بتفوق، ويختار أن يعمل فى المحاماة، ويسعى إلى تحقيق العدالة، ويقف إلى جانب الضعفاء، المقهورين والمطحونين من أبناء قريته، ويترافع لصالحهم أمام المحاكم بالمجان، وقد اختاره الشيخ عبد الحميد الكفيف، ليدافع عنه

فى قضية قتله لأبى سريع.

وهو محام ناجح ومثقف، يهوى الأدب، ويتزوج من رحاب خريجة الآداب وابنة خالته، ويكونان معًا أسرة مصرية نموذجية، أنهما سليلا أسرة مصرية عريقة.

ولعل أديبنا الكبير، بذكائه الشديد، وبراعته الفنية، أراد لنا أن نقارن بأنفسنا، ونلمس الفروق والمتناقضات بين أسرة وجدى بك، وأسرة أبى سريع، وما أفرزته كل منهما للمجتمع.

كل ذلك فيما عودنا عليه أستاذنا الجليل، من بناء فنى شيق ومحكم، بلغته الفصحى الشاعرية، وحواره الفلسفى العميق، وأسلوبه الأصيل المتميز.

٢٨ أبريل ١٩٩٨

لقاء مع ثروت أباظة(*)

الأديب المبدع ثروت أباظة، عرف بحبه وإخلاصه لأدبه وفنه، إلى الحد الذى جعله يقرر أن يتفرغ تفرغاً كاملا للتعبد فى محراب الأدب والفن.

اتخذ هذا القرار وهو لا يزال فى مرحلة الشباب المبكر.. ثم تخرج من كلية الحقوق، وكان من اليسير عليه أن يحظى بأفضل المناصب الحكومية، بالليسانس الذى يحمله، وبفضل نفوذ أسرته العريقة – وقد كانت الأمور فى مصر تجرى هكذا قبل الثورة – ولكنه التزم بقراره، ورفض أن يخضع للقيود الوظيفية، خشية أن تحد من حريته كفنان، أو تحول بينه وبين تحقيق آماله وتطلعاته الأدبية.

ونحن نلتقى به اليوم، بعد أن أنفق من عمره ربع قرن أو يزيد فى ميدان الخلق والإبداع، وبعد أن أصبح ذلك الكاتب اللامع، الذى أثرى حياتنا الفكرية، وأضاف لمكتبة الأدب العربى أربعة عشر كتاباً، تعد ثروة حقيقية نعتز بها جميعاً.

ومؤلفاته تتكون من: سبع روايات، وأربع مجموعات قصصية، ومسرحيتين، ومجموعة تمثيليات إذاعية.

وبعض هذه المؤلفات قد أعد ومثل فى الإذاعة والتليفزيون، والسينما والمسرح، وبعضها الآخر يعد أو ينفذ فى الوقت الحاضر.

وأدب ثروت أباظة يتسم بالشاعرية والعمق، والأصالة والجودة، ويهتم بالواقع الاجتماعى، والعلاقات الإنسانية، وهو من خلال كتاباته

---

* – نشرت فى مجلة "البيان" الكويتية فى فبراير ١٩٧٢.

يلمس لنا بحبه الصادق للإنسان، وتقديسه للعدل والحرية فى مجتمع ترفرف عليه قيم الخير والرفاهية.

وجدير بالذكر أن الدولة كرمت "ثروت أباظة" وتوجته بجائزة الدولة عام ١٩٥٨.. عن روايته "هارب من الأيام".

وقد وصف أدبه الناقد الكبير الدكتور "عبد القادر القط" فقال: إنه يتميز بلغته الشاعرية.

وأيضًا، قال عنه الناقد الدكتور "عبد الغفار مكاوى": إن ثروت أباظة يحاول أن يربط التراث العربى بأحدث تطورات الأدب العالمى فى فن القصة إلى ما قبل اللامعقول، عن طريق الأسلوب العربى الجزل جدًا، ومحاولاته الجمالية فى هذا الأسلوب، مع التبسط فى الحوار إلى درجة تشعر القارئ أنه مكتوب باللغة العامية، بينما هو فى الواقع بالعربية الفصحى.

كما أن الناقد "مهدى بندق" أصدر كتابًا بعنوان "الدين والفن فى أدب ثروت أباظة" وهو عبارة عن دراسة شاملة لأعماله التى سبقت روايته "شىء من الخوف".

ولقد استقبلنى الأستاذ "ثروت أباظة" بما أعرف عنه من الطيبة والمودة والتواضع، ومع ابتسامته المشرقة، دار الحوار بيننا:

نشأة الكاتب:

• أرجو أن تحدث القراء عن نشأتك، وما تخللها من العوامل التى أثرت فى تشكيل قدراتك الأدبية.

– لقد ربيت فى بيت والدى "دسوقى باشا أباظة".. وكان له أكبر تأثير على تكوينى الإنسانى والأدبى.. إذ كان البيت ملتقى لأدباء مصر جميعًا، وقد أفدت من هذا فائدة كبرى.. كما أن اختلاطى بالشعراء جعلنى أهتم باللغة العربية اهتمامًا بالغًا، فتكون لدى محصول كبير من العلوم الأزهرية التى هى أساس من أهم أسس اللغة العربية.

ووجودى فى هذا البيت أيضًا جعلنى أختلط بجميع طبقات الشعب.. فالفلاحون مثلا جزء من حياتى وقد عايشتهم المعايشة التى مكنتنى من كتابة "هارب من الأيام" و"شىء من الخوف".

ولقد عاشرت الطبقة التى يقولون عنها الطبقة الأرستقراطية، فاستطعت أن أكتب "قصر على النيل" و"ثم تشرق الشمس".

وأعتقد أن ما توفر لى فى بيت أبى، قلّ أن يتوفر لغيرى، فهو رجل كان جاهه يعتمد على صلاته بجميع طبقات الشعب، صلة أبوة وأخوة، ومن هذه الصلات تكونت ثقافتى الحقيقية فى الحياة.

النشر لأول مرة:

*** ما هى ذكرياتك مع النشر لأول مرة؟**

- كان لى مدرس وصديق فى نفس الوقت هو الأستاذ "عثمان نوية" الذى لا يزال من أعز أصدقائى، وكان على صلة صداقة فيها شىء من البنوة بأستاذنا المرحوم "أحمد بك أمين" وعرض علىّ الأستاذ عثمان نوية أن أكتب لمجلة "الثقافة" التى كان يشرف عليها أستاذنا "أحمد بك أمين" فكتبت كلمة عن موقف بينى وبين مدرس اللغة العربية بمدرسة "فاروق الأول الثانوية" ووقعتها بإمضاء "تلميذ قديم".

وذهب بها الأستاذ عثمان نوية إلى أحمد بك أمين فسأله: هل هى لمدرس زميلك؟.. فقال له: لا.. إنها لصديق محام.

وكأنه كان يتطلع إلى الغيب، لأننى كنت فى ذلك الحين فى السنة الرابعة الثانوية، وكان عمرى إذ ذاك ١٦ عامًا فقط.

ونشر أحمد بك أمين الكلمة بعد أن أصلح بها بعض العبارات، ثم عرف حقيقة الأمر، فصار ينشر لى دون أن يصحح شيئًا مما أكتبه أبدًا. وظللت أنشر بالثقافة منذ ذلك الحين (عام ١٩٤٣).

وتوالى النشر فى الثقافة والرسالة والمصرى.. ولذلك حين قدمت

كتابى "ابن عمار" إلى دار المعارف، لم أجد صعوبة فى نشره، وتصادف أن تقرر على طلبة السنة الإعدادية فى نفس العام ولم تصادفنى بعد ذلك صعوبات فى النشر.

القيم الأدبية:

* **ما هى فلسفتك فى الحياة، وما هى القيم التى تؤمن بها، وكيف ينعكس ذلك على أعمالك الأدبية؟**

- إننى أؤمن بالحرية، والأمن الناشئ عن الحرية.. وأرجو أن يجد النقاد انعكاس هذه الفلسفة على أدبى.

وظيفة الكاتب:

* **ما هى وظيفة الكاتب فى رأيك؟**

- وظيفة الكاتب أن يقول ما يحب أن يقول فى أجمل قالب فنى يمتع القارئ، ويجعله يحس أنه يقرأ شيئًا جديرًا بالتفكير.

الأشكال الفنية:

* **روايتك الرائعة "هارب من الأيام".. التى فازت بجائزة الدولة.. صدرت فى كتاب ومثلت فى الإذاعة وعرضت على شاشة التليفزيون، وشاشة السينما، وخشبة المسرح.. فما هو أقرب هذه الأشكال الفنية إلى نفسك، وأقدرها على تحقيق ذاتك وفلسفتك؟**

- أحب عمل إلىّ قدم عن "هارب من الأيام" هو ما أعدته السيدة "أمينة الصاوى" كمسرحية مثلتها فرقة الإسكندرية المسرحية.

وعمومًا، لا يمكن أن يقدم عمل عن رواية مكتوبة، يستوعب كل ما جاء فى هذه الرواية.

النكسة:

* **إلى أى حد تأثرت أخريات أعمالك بالنكسة؟**

- الواقع أننى أكتب، وأترك التفسير للقراء والنقاد.

الأدب العربى والعالمى.

• أعتقد أنك قرأت الكثير من كتب الأدب العربى والعالمى، قديمه وحديثه، فإلى أى مدى أفدت من ذلك؟.. وهل تأثر أدبك – بصورة أو بأخرى – بما قرأت؟

– ليس هناك أديب لم يقرأ أدبه المحلى أولا، ثم الأدب العالمى ثانيا.. وأنا لا أنكر أن ليلة مرت علىّ – منذ كنت فى الثامنة من عمرى حتى الآن – لم أقرأ فيها.

وأنكر أننى كنت فى رأس البر قبل أن تدخلها الكهرباء فكنت أقرأ على ضوء القمر أو أضع بطارية على صدرى، وأقرأ عليها قبل النوم.

وفى بلدتنا – غزالة بالشرقية – قبل أن تدخل الكهرباء إلى بيتنا، كنت أقرأ على لمبة جاز، ولا زلت أقرأ عليها حتى الآن، كلما ذهبت إلى البلدة، حتى لا أحمل القائم بشأن ماكينة النور مشقة السهر معى أثناء قراءتى.

وأعتقد أن الأساس الذى يجب أن تقوم عليه ثقافة الأديب هو تراثه أولا، ثم الآداب الأخرى. وقد أثر على كتابتى كل من قرأت له، من الشرق أو الغرب.

أدب الشباب:

• ما رأيك فى أدب الشباب.. وإن كان البعض يدعى أنك تعادى التيارات الأدبية الجديدة، فما هو ردك على ذلك؟.. وما هو موقفك من قضية الجديد والقديم التى تثار من آن لآخر؟

– الواقع أننى أزعم أننى أتحت للكثرة الكاثرة من شباب هذا الجيل ميدان النشر، حين كنت أعمل بمجلة "القصة".. فأغلبهم بدأ النشر فى هذه المجلة، ولا أعتقد أنهم ينكرون ذلك.

فموقفى الرافض هو موقف من نوع الأدب الذى انتحوا إليه، وليس منهم هم. وهذا الرفض بسيط لا يحتاج إلى شرح، ولا تعقيد فيه

فأنا أرفض ما لا أفهم.

وأنكر أن أحدهم قال: فلتستعن بمترجم.. وأعدهم أننى حين أجد هذا المترجم، سأقول رأيى فى أدبهم بعد أن يشرحه لى هذا المترجم.

هذا إذا اقتنعنا أن الأدب المنشور يحتاج إلى مترجم يترجمه إلى نفس لغته التى كتب بها.

ولا أعتقد أن لنا حياة إلا إذا وجد بعدنا من يكتب.. فنحن إلى موت.. ويجب أن يظل الأدب حيًّا.. ولا يحيا الأدب إلا بالجديد.

كل ما نرجوه أن يوجد هذا الجديد، وأن يجد من يقرأه، ونحن سنكون فى طليعة المصفقين له، المفسحين له كل طرق الانتشار والازدهار.

فالأدباء يعرفون أنهم مرحلة، إن لم تتصل بمرحلة بعدها، فهى هاوية.. ولا نحب أن نكون هذه الهاوية.

وإننى واثق أن هذا الاتجاه من الأدب غير المفهوم سيقضى على نفسه بنفسه. وسيقدم الشباب لنا أدبًا جديدًا مفهومًا، لأنهم من قبل ومن بعد يكتبون لمن يقرأ، فإذا لم يجدوا من يقرأ، فسيبحثون عنه.

أزمة النشر:

*** من الملاحظ أن حياتنا الأدبية تكاد تختنق، لضيق فرص النشر أو لتعدامها تمامًا، بالرغم من وجود صحفنا اليومية ومجلاتنا الأسبوعية والشهرية، فما هو الحل الذى تراه للخروج من هذه الأزمة؟**

– لعل أزمة النشر نابعة من نوع الكتابة الجديدة، التى يتجه إليها الكتاب من الشباب.

مجلات القصة:

*** بحكم إشرافك على مجلتىْ القصة.. ونادى القصة، فى السنوات الماضية.. ما هى أسباب تعثر هاتين المجلتين؟**

– فيما يختص بمجلة القصة، فقد أوقفها "الدكتور حاتم" فى وزارته

السابقة، بعد هجوم عنيف من "الدكتور لويس عوض".. وأستطيع أن أقول وأنا مطمئن إنه كان هجومًا غير موضوعى.

أما فيما يتعلق بمجلة نادى القصة، فمشكلتها الأساسية هى المال.

وزارة الثقافة والإعلام:

* **ألا ترى معى أن وزارة الثقافة والإعلام – فى دولتنا الحديثة – من واجبها أن تعتمد ميزانية خاصة، لإصدار مجلة أدبية متخصصة أو أكثر؟.. خاصة وأنها تنفق على السينما – مثلا – بسخاء، ومثل هذه المجلة أو المجلات مجتمعة لن تكلف ما يوازى ميزانية فيلم واحد.. كل عام.. كما أنه ليس من الضرورى أن تربح هذه المجلات.. فوزارة الثقافة والإعلام، من أهم واجباتها نشر الثقافة، ومجلة "المجلة" الشهيرة والوحيدة الموجودة تؤدى واجبها، ولكنها لا تستوعب نتاج كل هذا العدد الكبير من الكتاب.. ما رأيك؟**

– أعتقد أن هذا الواجب لا يحتاج إلى تنبيه!

الهيئة العامة للتأليف والنشر:

* **الهيئة العامة للتأليف والنشر.. هى الدار الرسمية الوحيدة للنشر فى جمهورية مصر العربية، ولكن الاعتقاد السائد أن نشاط هذه الهيئة يكاد يتلخص فى تشكيل اللجان وإعداد خطة للنشر كل عام، ولكن هذه الخطة لا ينشر منها إلا الكتب الموصى عليها، أو تلك التى يكون كتابها من الأقارب أو المعارف أو ممن يملكون رد الجميل.. أما باقى الكتب فإنها تؤجل دائمًا للعام التالى، ثم العام الذى بعد التالى، بحجة أن الميزانية لا تسمح.. وهكذا.. حتى يصاب أصحابها باليأس ويصرفوا النظر عن أمر نشرها لأنها فى أفضل الأحوال، لن تنشر إلا بمعجزة، وبعد سنوات طويلة، بحيث تصبح غير ممثلة لكتابها وقت صدورها..**

كما أن الهيئة لجأت فى السنوات الأخيرة إلى إصدار كتاب واحد مشترك لكل ثلاثة أو خمسة من الأدباء الشبان.. بدعوى التوفير فى النفقات.. ومثل هذا الكتاب طبعًا لا يضم غير عدد قليل جدًا من القصص أو القصائد المقدمة من المؤلفين.. بينما تصدر الهيئة فى نفس الوقت كتبًا كاملة مستقلة لفريق آخر من الشبان فى نفس المستوى. وأكثر من كل ذلك أن مصير منشورات الهيئة هو الإيداع فى المخازن وليس التوزيع كما ينبغى.

فما هو رأيك؟

- أرجو أن يكون فى التنظيمات الحديثة، ما ينفى عن دار النشر المشار إليها، ما يوجه إليها من تهم.

واعذرنى إذا لم أستطع أن أتفق مع من يوجهون هذه التهم، فأنا لم أخبرها بنفسى، ومن الظلم أن أطلق حكمًا على شىء لا أعرفه.

اتحاد الأدباء:

* نحن ننادى الآن بضرورة تكوين اتحاد عام لأدباء جمهورية مصر العربية، فما هو تصورك لهذا الاتحاد؟

- الواقع أننى لا أستطيع أن أقيم فى ذهنى تصورًا واضحًا لاتحاد الكتاب إلا أن يكون فى شكل نقابة تدافع عن مصالح الكتاب قبل أجهزة الإعلام والنشر.

وداعًا.. أديبنا الكبير ثروت أباظة(*)

أقسى ما فى الحياة أن يودّع الإنسان عزيزًا عليه وداعًا ليس بعده لقاء، ولكن تلك هى إرادة الله وسنته فى خلقه، ويتعين علينا أن نرضى بقضائه ﷻ.

وعزاؤنا أن أديبنا الكبير الراحل – يرحمه الله – سيظل يعيش فى قلوبنا وعقولنا طوال حياتنا، بل لطول كثيرًا جدًّا من حياتنا، فإبداعاته الأدبية الرائعة التى تزيد عن أربعين كتابًا، ما بين روايات ومسرحيات وقصص قصيرة وغيرها، ستظل خالدة عبر الزمن تضىء مكتباتنا العربية، وتثرى أفكار أجيال المستقبل، لأنها حقًّا أعمال رفيعة قيمة جديرة بالعظمة والخلود، ووسائلها ليست الكتب والترجمات والصحف والمجلات وحسب، وإنما الكثير منها سيظل يحيا فى السينما والتليفزيون والإذاعة، ولا أظن أن أحدًا يمكنه أن ينسى بسهولة قمم كاتبنا الشامخة مثل: "هارب من الأيام" و"شىء من الخوف" و"ابن عمار" المقررة على أبنائنا الطلاب.. وهذه مجرد أمثلة فقط.

وأدب الراحل الجليل من النوع الواقعى القيمى الهادف، فقد كان صاحب قلم عف شريف، وصاحب رسالة كبرى مقدسة، يحرص من خلالها على إعلاء قيم الحق والعدل، وتأكيد المفاهيم الإنسانية والدينية، وبث روح الفن والجمال، وكل ذلك دون أن يحيد يومًا عن أسلوبه الرصين الفصيح الذى أعزّ به لغتنا العربية، ودون أن يجنح إلى العبث واللامعقول أو الإبهام والغموض، لإدراكه الصادق أنه لا

---

* – نشرت فى مجلة "القصة" فى أبريل ٢٠٠٢.

فائدة ترجى من أدب غير مفهوم للقارئ وربما للكاتب أيضًا على حدٍّ سواء، وبالتالى فلا حياة له.

ولقد حدثنى ذات مرة حول هذا الموضوع قائلا:

- أنا أرفض ما لا أفهم!

وفى سخرية أضاف:

- ومن غير المعقول أن أستعين بمترجم يترجم لى ذلك الأدب الغامض إلى نفس لغته التى كتب بها!

واستطرد يقول:

- أنا واثق أن هذا الاتجاه من الأدب سيقضى على نفسه بنفسه!

وطبعًا كان له الحق فى كل ما قال.

(مجلة البيان الكويتية - فبراير ١٩٧٢)

لقد كان من صفوة مفكرى وكتاب القمة، ولقد أسهم بإنتاجه الشامل المتنوع فى تشكيل وعى ووجدان أجيالنا العربية وتطوير أسس ومعطيات ثقافتنا القومية.

ولا أكون مبالغًا إذا قلت إن الكثيرين من كتابنا اللامعين اليوم قد خرجوا من معطف أستاذنا الكبير ثروت أباظة، فقد كان يستقبل العديدين منهم فى بيته ومكتبه وفى مختلف الهيئات الأدبية والثقافية التى كان يرأسها أو يديرها.. كان يفتح للكتاب الصاعدين أبواب فكره الفياض فينهلون منه، ويأخذ بأيديهم إلى وسائل النشر المختلفة، ويظل يتعهدهم بالرعاية المعنوية إلى أن تشتد أقلامهم وتقوى على الصمود فى بحار الأدب.

إن الحزن ليعصف بى لرحيل أديبنا الكبير الأستاذ ثروت أباظة، ولا شعوريًّا أجد نفسى وقد هربت إلى ذكرياتى معه، وهى ذكريات بعيدة ولكنها عزيزة.

فى منتصف الستينيات ودون سابق معرفة، أرسلت له إحدى قصصى القصيرة ومعها سيرتى الذاتية المتواضعة، فكتب إلىَّ فى اهتمام بالغ كما لو كان يعرفنى حق المعرفة، يهنئنى بحصولي على بكالوريوس كلية العلوم بتقدير جيد، ويعدنى بنشر قصتى واصفا إياها بالجودة، ومعبرًا عن سروره الخاص لكونى بلدياته من أبناء الشرقية والزقازيق بالذات.. وفعلا أوفى بوعده ولكن بعد طول انتظار، بررره لى فى رقة متناهية عندما شرفت والتقيت به لأول مرة فى نادى القصة خلال صيف عام ١٩٦٥، حيث فوجئت بالكاتب الكبير والإنسان العظيم يعتذر لى فى أدب جم وأنا الناشئ المبتدئ يعتذر عن تأخر نشر قصتى لكبر حجمها، مما اضطرهم إلى تصغير البنط وتدبير المساحة التى بلغت عشر صفحات كاملة من المجلة، فذبت خجلا منه وشكرته كثيرًا واعتذرت له بدورى عن طول قصتى، غير أنه قال لى مشجعًا وأظنه مجاملا: "لا عليك يا أستاذ محمد صفوت، فقصتك جيدة جدًا وقد نالت إعجابى واستحقت تقديرى فكان لا بد أن تنشر".

إلى هذه الدرجة كان متواضعًا وهو عظيم وصاحب فضل، فقد كانت تلك هى أول قصة تنشر فى مجلة أدبية متخصصة، رفيعة المستوى وواسعة الانتشار، هى "مجلة القصة" التى كانت تصدر – آنذاك – عن وزارة الثقافة، وإن سبقتها بسنوات قصة لى نشرت فى مجلة إقليمية بالزقازيق، أيام أن كنت طالبًا بالتعليم الثانوى.

ومن خلال أستاذيته وانبهارى بشخصيته، نشأ بيننا حرص متبادل على دوام الصلة، فأهدانى جميع كتبه وقد خطّ لى عليها بقلمه النفيس عبارات طيبة ورقيقة، شعرت أنها أكبر منى فحاولت أن أكون فى مستواها.

وصدرت مجلة "نادى القصة" تحت إشرافه فاعتبرنى من أسرة تحريرها، وبالفعل تعاونت مع سكرتير التحرير – آنذاك – الكاتب والأديب الأستاذ "فخرى فايد" وصرنا أصدقاء.

ولكى أبين مدى حكمة الأستاذ ثروت وعدالته، أقول إنه لكثرة مشاغله استعان بأديب من الجيل السابق لنا ليساعد فى قراءة النصوص وإجازتها للنشر بالمجلة، فاعترض على نشر إحدى قصصى بحجة أنها طويلة وتقليدية، فقلت له: كيف لا تنشر وهى فائزة بجائزة فى مسابقة نادى القصة؟!.. فقال: الفوز بجائزة فى مسابقة النادى شىء والنشر فى مجلة النادى شىء آخر.. قلت: عجبًا، إن فوزها يعنى أنها حظيت بإعجاب وتقدير ستة أدباء كبار مختلفى المذاهب والاتجاهات، قرأوها وأعطوها درجات مرتفعة تفوقت بها على مئات القصص المتقدمة للمسابقة، ومنصوص على أن مكافأة الفوز ليست الجائزة المادية فقط، وإنما النشر أيضًا.. فإذا به يقول فى تعنت: كل ذلك لن يغير من رأيى!

قلت له: ألم تعلم أن قصتى التى نشرت مؤخرًا فى هذه المجلة نفسها، قبيل توليك المسئولية، لقيت استحسان كل من قرأها لدرجة أن الكاتب الكبير الأستاذ "جليل البندارى" خصص بروازه المشهور "أنا والنجوم" فى جريدة "الأخبار" للإشادة بها هى بالذات دون غيرها من قصص المجلة، رغم عدم وجود أى معرفة شخصية بيننا؟ قال: بلى، قرأت وعلمت، ولكننى لن أتزحزح عن موقفى!

واختلفنا فاحتكمنا إلى الأستاذ ثروت، فاحتوى الموقف وخاطبنى قائلا: قابلنى غدًا ومعك قصة أخرى على سبيل الاحتياط.. ولما كان الغد، جلست إلى جواره وهو يقود سيارته، وكانت شوارع القاهرة هادئة فى تلك السنوات البعيدة، فطلب منى أن أقرأ له قصتى التى معى، وفعلت، فأبدى إعجابه بها وقال فى تلقائية صادقة: ننشر قصتك هذه أولا، فى عدد المجلة القادم، أما قصتك الفائزة فسوف تنشر إن عاجلا أو آجلا حسب شروط المسابقة وبذلك تكون قد نشرت قصتيك هاتين كما ينبغى، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية.

وهكذا حل الإشكال بحكمته البالغة وأرضاني وأرضى نائبه في الوقت نفسه.

وأذكر أنني التقيت به مصادفة في مصعد جريدة "الجمهورية"، وبعد تبادل التحية سألني بعفوية: ماذا تفعل هنا؟.. فقلت: جئت أقدم إحدى قصصي للنشر في جريدة الجمهورية.. فقال: أتعرف أحدًا من المسئولين هنا؟.. قلت: لا.. فقال: إذن، تعال معي.. ويومها قدمني إلى مدير التحرير الأستاذ "ممدوح رضا".. وهكذا كان مفضالا ومحبًا للغير.

وكثيرًا ما كان يعمد إلى خلق جو أشمل من الألفة والترابط بيننا، فيتبسط معي قائلا: إن رقم الآحاد في سنتيْ ميلادك وميلادي هو نفسه. فأرد عليه بقولي: وهذا يشرفني طبعًا، ولكن مع فارق عشر سنوات.. ويداعبني بقوله: وزوجتك وزوجتي لهما نفس الاسم.. فأبتسم قائلا: وهذا أيضًا يشرف زوجتي ويشرفني.. وغير ذلك الكثير مما يدل عل أن أستاذنا العظيم كان متواضعًا إلى حد كبير، وهذا ليس سرًا، ولكنه من أسباب عظمته..

كنت أسعد بلقائه في المنتديات الأدبية والثقافية، وشرفت بزيارته مرة واحدة في بيته للاطمئنان عليه إثر وعكة صحية ألمت به.. واغتربت لدواعي العمل فتغيبت عنه ربع قرن من الزمان، ولكن القدر كان رحيمًا بي ولم ينسني الأستاذ، فبمجرد عودتي إلى أرض الوطن دعاني لزيارته في مجلس الشورى وهنالك رأيته كالعهد به وقورًا ومهيبًا، تحيط به كاميرات التليفزيون ليضيء الشاشة الصغيرة بطلعته المشرقة، ويثري العقول بما يقول.. وأصحاب المصالح والحوائج ينتظرون أن يشملهم بعطفه ورعايته، وهو نفسه يتعجل أن يتفرغ لإجابة مطالبهم الإنسانية.

إن القلم ليختنق، ولا مفر من التماس العزاء، والتركيز فيما نعتقده من أن إبداع أديبنا الكبير سيظل حيًا وخالدًا يمتع الملايين بعد الملايين من قرّائه ومحبيه.

بعد مرور عام على وفاته

وداعًا أمين يوسف غراب![*]

* ولد أمين يوسف غراب عام ١٩١١ فى قرية محلة مالك. مركز دسوق. محافظة كفر الشيخ.
* توفى فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٠.
* "الضباب" هى أولى مجموعاته القصصية، وقد صدرت فى مايو سنة ١٩٤٢.
* بلغ عدد مؤلفاته ٢٥ كتابًا.. تضم أكثر من ٢٠٠ قصة قصيرة، ٦ روايات ومسرحيات.
* كتب للسينما المصرية حوالى ٢٧ فيلمًا.
* ترجمت بعض قصصه إلى اللغات.. الإنجليزية، والفرنسية والألمانية.
* كان رئيسًا لقسم التحرير والنشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.. وعضوًا بلجنة القصة وعضوًا بجمعية الأدباء.. وعضوًا بنادى القصة.
* حصل على جائزة الدولة فى القصة القصيرة.
* من بين مؤلفاته:

أرض الخطايا.. آثار على الشفاه.. امرأة غير مفهومة.. يحدث فى الليل فقط.. وهى مجموعات قصصية.

---

*- نشرت فى مجلة "نادى القصة" فى أبريل ١٩٧١، وفى مجلة "البيان" الكويتية فى يناير ١٩٧٢.

سنوات الحب.. الأبواب المغلقة.. شقة فى الجيزة.. الساعة تدق العاشرة.. وهى روايات ومسرحيات.

* آخر أعماله.. رواية طويلة، كتب نصفها فقط، ولم يمهله الموت الغادر حتى يتمها!

نحن نعلم جيدًا أن الموت حق، وأنه مصيرنا، ومصير كل حى فى هذه الدنيا.. فتلك إرادة الله، وسنة الحياة.

ولكننا، وبالرغم من إيماننا العميق بهذه الحقيقة الأزلية، لا نملك إلا أن ندع قلوبنا تحزن، وعيوننا تبكى، كلما فقدنا عزيزًا علينا.. فالموت فراق ليس بعده لقاء.

ومنذ عام بالضبط، فُجع أدباء القاهرة، والعالم العربى، وجمهور القراء، بوفاة الأديب الكبير أمين يوسف غراب.

وحزنت القلوب، وبكت العيون.. فالأستاذ أمين يوسف غراب – رحمه الله – كان إنسانا كبيرًا، وفنانًا أصيلا، وأديبًا مبدعًا..

ولقد أثرى المكتبة العربية، خلال الثلاثين عامًا الماضية، بخمسة وعشرين مؤلفًا فى القصة القصيرة، والرواية، والمسرحية.. وله فضل لا ينسى على السينما المصرية، إذ كتب لها الكثير من قصص الأفلام، والسيناريو والحوار.

ولقد اهتمت به الدولة، وقدرت أعماله الأدبية والفنية، فكرمته ومنحته جائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة، عن مجموعته القصصية "أشياء لا تشترى".

كذلك حظى بحب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين، فآثره على غيره من أبناء جيله، وقدمه للقراء، فى مستهل حياته الأدبية، وكتب عنه دراسة مطولة فى جريدة الأهرام، قال فيها:

إن أمين يوسف غراب لا يقل براعة ومقدرة فى ميدان القصة العربية الحديثة، عن زميله الأديب الفرنسى "جى. دى. موباسان".

وهو قول له قيمته حين يصدر عن عميد الأدب العربى.. وتزداد قيمته إذا علمنا أن الدكتور طه حسين نادرًا ما يكتب عن أحد.. ذلك فضلا عما تضمنته الدراسة من تقييم منصف للمزايا الفنية، عند أديبنا الراحل..

ومن أنجح المسرحيات التى كتبها الفنان أمين يوسف غراب.. مسرحية "ست البنات" وقد افتتحت بها دار الأوبرا المصرية موسمها المسرحى لعام ١٩٥٣. فنجحت نجاحًا منقطع النظير، وأشادت بها الصحف المصرية – آنذاك – واعتبرها النقاد أروع مسرحية كوميدية قدمت للمسرح بعد وفاة نجيب الريحانى.

وكذلك كان من أنجح الأفلام التى قدمها للسينما المصرية فيلم "شباب امرأة"، وبالرغم من مضى سنوات طويلة على تاريخ عرضه لأول مرة، فإن الكتاب كثيرًا ما يذكرونه عندما يكتبون عن السينما.

ولعل أعظم قصة عاشها أمين يوسف غراب، ولم يكتبها، أو كتبها ولم ينشرها.. هى قصة حياته.. ويا لها من حياة حافلة بالصراع والألم، والكفاح والعرق..

والأستاذ أمين يوسف غراب، لم يكن يحمل شهادات دراسية، ولكنه أدرك – وهو فى سن مبكرة – أهمية العلم والثقافة بالنسبة لحياته كإنسان، فدأب على تعليم نفسه وتثقيفها، فى جلد ومثابرة، حتى أصبح أكثر من متعلم، وأكثر من مثقف.. وما لبث أن خلق من نفسه ذلك الأديب الناجح، الذى انتشر أدبه، وذاع اسمه، وهو لا يزال فى قريته، بأعماق الريف المصرى.. وهذا سر من أسرار كفاحه وعظمته.

كان الفتى أمين يوسف غراب، يعمل موظفًا صغيرًا جدًا فى أرشيف بلدية دمنهور، ثم حدثت نقطة التحول فى حياته عندما غضب عليه رئيسه فى العمل، وأراد أن يعاقبه، فأمر بنقله إلى مكتبة البلدية.. ففى المكتبة، تهيأت له أسباب العلم والمعرفة، واكتشف بذرة الأديب فى داخله، فاستمر يتعهدها ويرويها، حتى تفتحت وأثمرت..

ومن قلب الريف، أخذ يبعث بقصصه القصيرة إلى صحف القاهرة، فحظى بعضها بالنشر..

وبدأ الأديب الناشئ، والقروى الفقير، يحلم بالشهرة والمجد. وبذكائه اللماح، أيقن أن أحلامه لن تتحقق إلا إذا انتقل إلى القاهرة.. مدينة الأضواء.. والآمال.. وبإصراره المتوثب، وإرادته الصلبة.. كان له ما أراد..

وفى القاهرة، شغل وظيفة كاتب بسيط فى مطابع السكة الحديد، ثم قاده طموحه ليعمل سكرتيرًا لوكيل وزارة المواصلات. بيد أنه – كفنان – ما لبث أن ضاق بجمود الروتين الوظيفى، وكان قد أصبح أديبًا شابًا، يلمع اسمه فى الصحف والمجلات، فتيسرت أمامه السبل، وعين رئيسًا لقسم التحرير والنشر، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.. ومن خلال هذا المنصب الأدبى، استطاع أن يتوافق مع نفسه، وأن يحقق ذاته كأديب وفنان.. فانتشرت مؤلفاته بين أيدى جمهور القراء على نطاق واسع، واتخذت أعماله طريقها إلى السينما والمسرح والإذاعة.. ثم التليفزيون، واكتسب الشهرة والمجد.

ولقد تأثر أمين يوسف غراب بنشأته فى القرية إلى حدٍّ كبير، فاتجه بالكثير من أعماله إلى الريف المصرى، يصور حياة الفلاحين كواحد منهم، ويعبر عن مشاكلهم الاجتماعية والعاطفية وكأنه قد عاشها بنفسه.. كذلك برع فى تصوير البؤس والحرمان، وعرف بأدبه الصريح عن المرأة، ومقدرته الفائقة على التغلغل فى أعماقها، وتحليل نفسيتها ومشاعرها تحليلا دقيقًا.

وفى مجال الحب والجنس، كان يستخدم لغة جريئة موحية، تميز بها بين أبناء جيله، وكان يؤمن باستحالة وجود حد فاصل بين الحب والجنس، فهما فى رأيه وجهان لعملة واحدة..

ولقد اتهمه البعض، دون وجه حق، بأنه يستخدم لغة مكشوفة، يوظفها عمدًا فى تصوير المواقف العاطفية، والمشاهد الجنسية، تصويرًا يهدف للتعرية والإثارة.

ولكنه – رحمه الله – كان صادقًا مع نفسه وفنه، مخلصًا للنماذج البشرية التى يتعامل معها، والتجارب الإنسانية التى يعبر عنها.. فكان لا بد له من لغة شفافة، تكون هى وحدها القادرة على خدمة رؤيته الفنية.. وهو لم يكن يطرق أبواب الحب والجنس لذاتها، وإنما لينفذ منها إلى أعماق النفس البشرية، ويستخلص لنا أسرار الإنسان والحياة..

ولماذا نغالط أنفسنا؟!.. أليس الجنس هو الحقيقة الأولى فى الحياة، ومن أجله خرج أبونا آدم، وأمنا حواء من الجنة؟.. وفى القرن العشرين.. أليس من الطبيعى أن يستخدم الرجل والمرأة، الحب والجنس، كوجهين لعملة واحدة؟!.. هذا هو ما نراه فعلا.

وجدير بالذكر أن الأستاذ أمين يوسف غراب، قد أمضى سنوات طويلة من حياته الأدبية، فى كتابة القصة القصيرة وحدها، وقد يكون ذلك تلبية منه لدواعى السرعة فى الإنتاج والنشر، أو انشغالا منه بمشاكل حياته اليومية.. على أنه ما لبث أن اتجه – فى الخمسينيات – إلى معالجة المسرحية، والرواية الطويلة. والفيلم السينمائى..

وإن الدمع ليثقل عينى إذ أتذكر حفاوته بى حين كنت أزوره فى بيته (بمصر الجديدة) أو فى مكتبه (بالزمالك) كان كريمًا.. مرحًا.. صافى القلب.. لا يكتم فى نفسه شعورًا ما، فسريعًا ما يغضب وسريعًا ما يبتسم.

وتنساب دموعى، وأنا أقرأ كلماته الرقيقة، التى كتبها لى بخط يده، فى بداية صلتى به، وهى صلة أدبية بطبيعة الحال.

وقد بلغ به عشقه للأدب حدًا جعله يسعى لبث الموهبة الأدبية فى وجدان نجله إبراهيم، لدرجة أنه كان يفرض عليه أن يقرأ كتبًا معينة،

يختارها له بنفسه، ليعود ويناقشه فيها.. وها هو العزيز إبراهيم يوشك أن يتخرج فى معهد السينما.. وبين السينما والأدب صلة وثيقة.

ويجزع القلب لمرض الأب أمين يوسف غراب، ورقاده المستسلم، على السرير الأبيض بمستشفى عانوس بالعجوزة.. ولكن العقل لا يتصور أن نزلة البرد التى ألمت به، يمكن أن ينتج عنها ذلك النزيف القاسى، الذى أودى بحياته!!

وفجعنا برحيل أستاذنا، وانتقاله إلى جوار ربه فى الساعة السابعة من مساء الأحد ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٠.

وبالرغم من أنه قد أفنى عمره فى خدمة الفن والأدب، وترك لنا ثروة أدبية ضخمة.. إلا أنه لم يترك لأسرته شيئًا!!

إنها النهاية، ولا مفر، وعلينا أن نودعه وإن تمزقت قلوبنا.. فوداعًا.. أمين يوسف غراب!

محمد صدقى.. و.. شرخ فى جدار الخوف(*)

"شرخ فى جدار الخوف" هى ثالث مجموعة قصصية نقرأها للأديب "محمد صدقى" من بعد مجموعتيه السابقتين "الأنفار" و"الأيدى الخشنة".

ومحمد صدقى كاتب عصامى، نشأ فى أسرة فقيرة بدمنهور، واشتغل صبيًا ثم عاملا فى حرف يدوية عديدة، ثم تدرج حتى عمل كاتبًا بمحلات "شملا" فى القاهرة.

وبينما هو يتقلب فى تلك الوظائف الصغيرة، كان يبذل جهدًا مشرفًا فى تعليم نفسه وتثقيفها، وأخيرًا تمكن من احتراف الكتابة فى الصحف والمجلات.

"ابتسامة القمر" هى أول قصص المجموعة، وفيها نلتقى بالزوجة الريفية "نعناعة"، وهى تعيش فى فرحة قلقة، إذ خيل إليها أنها سمعت صوت "سى محسن" وظنت أنه قادم لزيارتها.

ونعلم أنها تحب محسن، منذ أن كانت فتاة تعمل فى خدمته، لكنها تخشاه، لأنه يحبها فى جرأة غير عادية، الأمر الذى يجعلها فى خوف دائم من أن يغتصب منها أعز ما تملك. وهى تعلم مقدمًا أنه لن يتزوجها – فهو ابن "البيه" وهى ابنة "الغفير" عند "البيه" – فقط هو يريدها أن تتزوج من الرجل الذى يختاره لها، ضمانًا لاستمرار مصالحه العاطفية معها.. ومع ذلك لا تملك نفسها من أن تحبه. وهى بعد أن تزوجت من "علوان" أثناء غياب حبيبها فى الدراسة، تخاف من بطشه حين يعود.

---

*– نشرت فى مجلة "نادى القصة" فى أغسطس ١٩٦٨.

وبينما هى قلقة، تتحسس الجنين الذى فى بطنها، وتنتظر عودة حبيبها، نجد أن حماتها تعانى قلقًا آخر.. فالبقرة حامل، وموعد ولادتها يحين بين لحظة وأخرى، وهذا شيء له أهمية كبرى فى حياة الأسرة الريفية.

نجح محمد صدقى فى تصوير هذا المعنى، كما نجح فى الربط بين نعناعة الحامل، والبقرة الحامل، واعتبارها فردًا من أفراد العائلة. وهذا ما نجده مألوفًا فى ريفنا.

ومما يؤخذ على المؤلف، أنه قد استغرق نصف القصة فى وصف هذا الحدث وحده، على طريقة التصوير السينمائى البطيء، لدرجة أننى لم أستطع أن ألغى من ذهنى منظره وهو يقف فى "الزريبة" ليشاهد لنا هذه التجربة. ولكن مقدرة الكاتب على الغوص فى نفوس شخصياته، وتحليل ما يعتمل فى داخلها من المشاعر والانفعالات، قد عوضنا بعض الشيء، عن الملل الذى شعرنا به نتيجة لتثاقل الحركة فى القصة.

ونقرأ قصة "لحظة حب" فنتبين أننا قرأناها من قبل بعنوان "ضفيرتان" وهى ذات مضمون بسيط، يعبر عن الصراع بين القديم والجديد.

ونفس البساطة نجدها فى قصة "حجر على سطح بحيرة" التى تقدم لنا الثرى "عزيز بيه" وهو فى حالة سأم وملل، مبعثها الفراغ الذى يهيمن على حياته الجوفاء. وتأتى المقادير بطفل من جامعى أعقاب السجائر، يراه عزيز فينادى عليه، ويوشك أن يجزل له العطاء، ليشعر فيما بينه وبين نفسه بأنه قد أدى عملا ذات قيمة، ولكن الطفل يجرى وراء طفل آخر، ولا يتمكن عزيز من اللحاق به، وإنما يلتقى بأحد أصدقائه، فينشغل معه بالحديث عن القمار والجنس، وينسى الطفل تمامًا.

وقصة "الشاى بالحليب" يرويها القاص بطريقة ضمير المتكلم، ويمهد لها بمقدمة إنشائية، كنت أفضل أن يتجاوزها ويدخل بنا فى

قلب الأحداث مباشرة.

وفى القصة نتعرف على "رشدى" الذى كان غائبًا عن أهله وقريته لسنوات طويلة، نراه وقد حضر لزيارة والدته، بعد أن فصل من عمله الجديد، بسبب "السابقة الأولى" لكنه يخفى ذلك عن والدته، وفى بساطة شديدة، يعتذر لها عن عدم تمكنه من حضور وفاة والده..

وتطلب الأم من رشدى أن يزور ابنة عمه "فوزية" ليشكرها على ما قامت به من خدمات لوالده أثناء مرضه.

ونعلم أن فوزية ورشدى كانا يتبادلان الحب فى الزمن الماضى، لكن رشدى تمرد عليها، وفسخ الخطبة لرغبته فى الزواج من فتاة تماثله فى ثوريته، ورغبته فى تحطيم الظلم بكل صوره.. وهنا ندرك أن رشدى يمارس نشاطًا سياسيًا غامضًا، ربما كان له دخل فى تعثر حياته.

ونتعاطف مع فوزية، ونقدر قيمة ما بذلته من التضحيات لأسرة عمها، حين نعلم أن فقرها المدقع جعلها تستعير ثوبًا من جارتها لتستقبل به رشدى.

ويندم رشدى لتخليه عن الإنسانة التى أحبته بإخلاص، ويتهم نفسه بالأنانية، خاصة وأنه لم يجد الزوجة التى كان يحلم بها.. وتنتهى القصة بأن يطلب من فوزية أن تزوره فى الغد، ليراها قبل أن يسافر، فتعده بأن تستأذن من زوجها وتفعل.

وقد وفق الكاتب تمامًا فى تصوير الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية فوزية.

ونصل إلى القصة التى تحمل المجموعة اسمها "شرخ فى جدار الخوف" فنتألم من أجل "مروان" الذى حُكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، فى جريمة قتل لم يرتكبها، وإنما العمدة هو الذى ألصق به التهمة زورًا، لكى يعفى نفسه من المسئولية أمام الجهات العليا.

ويخرج مروان من السجن متشبهًا بالمجرمين، فيخافه أهل القرية، وينشئون حوله الكثير من البطولات الزائفة، ويحرصون على اتقاء شره، فيقدمون له المنح والقرابين، ويتمادى هو فيفرض عليهم الإتاوات، وأخيرًا يُواجه مروان بامتحان عسير، فثمة ذئب متوحش يهاجم القرية، ويثير الرعب فى قلوب الأهالى، فيلجأون إلى بطلهم مروان، لكنه يفشل فى القضاء على الذئب، فتسقط عنه البطولة، ويكتسبها "سعداوى" الذى قتل الذئب.

وهذه هى لُجود قصص المجموعة العشر، من حيث المضمون والبناء.

وبصفة عامة نلاحظ أن محمد صدقى يتخذ من ريف دمنهور مسرحًا لأحداث بعض قصصه، كما أن معظم أبطاله من العمال والفلاحين الكادحين، وهذا يتفق مع ما سبق أن قدمنا من حياة الكاتب.

كما نلاحظ إصرار محمد صدقى على إدارة الحوار بالعامية، فتتضح براعته فى ذلك، ولكنه ينساق ويستعمل الكثير من العبارات والألفاظ الدارجة فى السرد القصصى مثل:

الزريبة، وبحراية الدار، وضبة الباب، وبقدرة قادر.. وهذه الطريقة – المسرفة فى الواقعية – تجعله ينجح فى تصوير الجو العام للقصة، إذ تكسبها صدق الواقع، وحرارة الحياة، ولكنها تؤثر عليها من الناحية الفنية، وتدمغها بالطابع المحلى البحت، رغم ما تحمله من أفكار إنسانية لا تحدها حدود.

مصطفى عبد الوهاب.. و.. "دبوس فى الرأس"(*)

مصطفى عبد الوهاب قاص وناقد من جيلنا، جيل الستينيات، يكتب القصة القصيرة والنقد الفنى، وله نشاط ملحوظ وحضور دائم، فى أكثر من صحيفة ومجلة، كما أنه عضو فعال فى نادى القصة واتحاد الكتاب، وفى أكثر من جماعة أدبية وفنية، وله اهتمام خاص بالفن السينمائى، وسبق له الفوز بجائزة نادى القصة عام ١٩٦٧.

وقد صدرت له المجموعات القصصية: "أحزان عبد الجليل أفندى" ١٩٨٠، و"أول مرة" للأطفال ١٩٩٧، ثم "دبوس فى الرأس" ١٩٩٩، التى نحن بصددها الآن، وقد كتبت قصصها فى النصف الثانى من عقد التسعينيات، ونشر معظمها فى الصحف والمجلات، قبل أن تصدر عن "جماعة الجيل الجديد الفكرية" التى يرأس تحريرها الشاعر المعروف، والصحفى النشط "حزين عمر"، وكاتبنا أحد مؤسسى الجماعة، وعضو مجلس تحرير مطبوعاتها، رفيعة المستوى.

أما كتابه دبوس فى الرأس، فيضم ست عشرة قصة قصيرة، ويقع فيما يزيد عن مائة وعشرين صفحة من القطع المتوسط، جيد الورق والطباعة، ولوحة غلافه الأنيق بريشة الفنان الكبير "حسين بيكار"، وتصوير "د. صبحى الشارونى".

ومن قراءتنا لقصص المجموعة، التى بين أيدينا، نلمس أن كاتبنا موهوب ومتميز، يمتلك أدواته الأدبية والفنية، يختار لنا من تجاربه الإنسانية، ونماذجه البشرية، ما يمتعنا به حقًا، من خلال أسلوب سلس

---

*- نشرت فى جريدة "الحياة" فى ٢٠ مارس ٢٠٠٥.

ومتناغم، وبناء فنى محكم ومتماسك وقصصه تشف عن مضامينها الغنية بالقيم والمعانى، دون تقرير أو افتعال، وتبوح بما يود أن يقوله تلميحًا وليس تصريحًا.

ومجمل القول أن كتاباته تتميز بوضوح الرؤية، وصدق المحتوى، وبساطة التناول، لذلك يكتشف قارئه أنه قريب منه جدًا، بل وقد يجد نفسه أو بعض نفسه فيما يقرأ.

ونستعرض معًا بعض قصص المجموعة، فنجد أن قصته "زاوية الرؤية"، من خلال ما يشبه التجريد، تحاول التأكيد على وجود علاقة حميمة بين فنون الأدب والرسم والموسيقى، فنحن الكتاب مثلاً، نصور المعانى والأشياء بالكلمات، وتلك المعانى والأشياء نفسها يصورها الرسام بريشته بالألوان والظلال، ثم يأتى الموسيقىّ أيضًا، فيعبر عنها بالأنغام والألحان.. فلا شك إذن، أن هناك علاقة فنية وثيقة، تربط بين ألوان الطيف السبعة وعدد الدرجات السبع للسلم الموسيقى.

فكرة طريفة، جديرة بالاهتمام، يقدمها لنا أديبنا الفنان، ومن بين ثناياها، وفى تلاحم شديد معها، يتعرض لقضية النشر فى الصفحات الأدبية بالصحف والمجلات، تلك التى تكون رغم قلتها، محجوزة دائمًا لأصحاب الحظوة المقربين، من أفراد شلة المشرف على الصفحة، والمعارف والمحاسيب، ومن يمكن تبادل المصالح معهم، ولترتع فيها الأقلام الحاقدة، التى تمتلئ قلوب أصحابها بالأنانية والغيرة، والمصوبة نحو المبدعين الشبان.. كل ذلك فى سياق يبدو طبيعيًا جدًا، لأن راوى القصة أديب شاب، يعانى من أزمة النشر، ويخشى على نفسه من التقوقع والاندثار إلى الأبد.

وحتى نستقيم الدراسة، نمضى إلى القصة التى تحمل عنوان المجموعة، قبل أن تنفد المساحة المتاحة.

تشدنا قصة "دبوس فى الرأس" بما فيها من حوار وجدل، وفكاهة وسخرية، رغم جدية موضوعها وأهميته، بل وقدسيته، فهى تناقش

جانبًا من معتقداتنا الدينية، التى يفهمها البعض ويطبقونها على نحو خاطئ ومتزمت، لتمسكهم بالشكل الظاهرى، دون تعمق فى المضمون الجوهرى.

فمن خلال أسلوب شيق وأحداث جذابة، تميل إلى الفانتازيا، وتكنيك فنى يمزج الحقيقة بالحلم، والواقع بالخيال، يدور الصراع بين زوجة متسلطة وزوجها المسالم، حول الحجاب والنقاب.

فهو يرى أنها تفهم التعاليم الدينية، بشكل محدود ومسطح، ورغم سعادته الحقيقية بها حين اهتدت وتحشمت بالحجاب، إلا أنه كاد يفقد صوابه حين وجدها، تتجاوز حدود المعقول، وتصر على أن ترتدى ابنتها النقاب، مع أنها طفلة صغيرة، لم تتجاوز الثامنة من عمرها، ولكن أمها خنقت طفولتها البريئة أمام عينيه، وسجنتها فى تلك الخيمة السوداء، المسماة "النقاب"، فهل تستطيع طفلته الصغيرة، "عبير الزهور"، ولاحظوا رقة اسمها وجماله، وقد تحولت بكل أسف إلى كتلة من السواد، هل تستطيع وهى مقيدة هكذا، أن تجرى وتتقافز، وتلعب الحجلة وتنط الحبل، مع قريناتها من البنات الصغار، زهرات الحياة؟!

يتميز الزوج غيظًا وغضبًا، خاصة وأن تلك المهزلة القاسية التى تعيشها ابنته الصغيرة، تمت بإيعاز من خالها الأقل من نصف متعلم، الذى يعيش معهم فى البيت، وهو متطرف فيما يبدو، ولم البنت تغيظ الأب أكثر وأكثر، قائلة له إن "الخال والد"!

ليس هذا فحسب، وإنما هى تصمم أيضًا على سحب أوراق ابنتها من المدرسة، حيث لا ضرورة فى رأيها لتعليم البنت، وما قد ينتج عنه من تبرج وفسق، ثم هى لو تعلمت فأى مهنة شريفة تنتظرها مستقبلا، راقصة فى شارع الهرم مثلا؟!

يتغلغل الخال فى شئون الأسرة، فيحرم عليهم مشاهدة التليفزيون، ويملأ البيت بالكتب التى تتحدث عن عذاب القبر، وأهوال يوم القيامة وما شابه.

ويمكن القول أن شخصية الخال توازى شخصية الأم، لذلك كان من الممكن الاستغناء عنه، دون أن تختل القصة، وإنما كانت ستصبح أكثر تكثيفًا وتركيزًا، وتمشيًا مع طبيعة القصة القصيرة، حيث كان يمكن للأم أن تملأ ما ينشأ عن غياب الخال من فضاء فى القصة. ولكن يبدو أن المؤلف أوجده كقدوة ومبرر لتصرفات الأم، ولتوقيع مزيد من القهر على الأب، وعلى كل حال، فوجوده لم يقلل من روعة القصة، ولعله أثراها، من وجهة نظر أخرى.

المهم أن الزوج المقهور، يظل مغلوبًا على أمره، ولا يجد حلا لمشكلته إلا فى الأحلام، حيث يرى زوجته مستلقية على السور العلوى للبيت، فيتمنى مسرورًا، أن تكون مقبلة على الانتحار، ولو على سبيل العند معه، رغم كرهه للانتحار لما فيه من حرمانية، وخشيته من توجيه الاتهام إليه، بيد أنها تخيب ظنه ولا تنتحر، فيضطر هو إلى أن يحاول إنهاء حياتها بنفسه، ولكنه لا يفلح!

وفى قصة "التحقيق"، نعيش مع شاب صحفى تحت التمرين كلفه رئيس التحرير بإجراء تحقيق صحفى، إذا وفق فيه، سوف يتم تعيينه بالجريدة الحزبية.

ترافقه زميلته المصورة بالكاميرا، وينجح التحقيق فى أن يعبر بالكلمة والصورة عن واقع مأساوى، لأسرة فقيرة، مكونة من عشرة أفراد، يعيشون جميعًا فى شقة ضيقة، مكونة من غرفة واحدة صغيرة، وصالة أصغر منها، تلك الأسرة التى لا تملك قوت يومها، عجزت عن تحديد النسل، لعدم قدرتها على دفع ثمن حبوب منع الحمل.

وقد ركز الكاتب على وصف المكان، كعنصر أساسى فى النص، وكشاهد حى على مدى بؤس تلك الأسرة.

وفى براعة فنية يتطرق الحوار إلى السياسة والأحزاب، والاستعمار والحرب، وأمريكا وإسرائيل، والغلاء والبطالة، ورجال الأعمال الذين يأخذون القروض ويهربون بها، والقوانين التى لا تطبق، و..

ويأتى التحقيق معبرًا تمامًا، وبكل صدق وصراحة، عن الواقع المر المعاش، غير أن رئيس التحرير يقع فى حيرة شديدة، ويجبن ويمتنع عن نشره، خوفًا من العواقب!

وحتى لا أطيل أكثر من ذلك، أوجز فأقول: إن أديبنا الأستاذ مصطفى عبد الوهاب، نجح فى أن يقدم مجموعته القصصية "دبوس فى الرأس"، لتكون إضافة حقيقية، لمكتبتنا العربية.

عبد الرحمن شلش..
وداعًا.. أعز الأصدقاء![*]

يعلم الله أننى أجد صعوبة شديدة جدًّا فى أن أرثى الصديق الفاضل الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن شلش، الأديب والناقد الذى كان معنا فى نادى القصة، قبل رحيله بيومين اثنين فقط!

كان معنا، يرانا ونراه، يبتسم لنا ونبتسم له، يتحدث إلينا فنستمع له، ونتحدث إليه فيستمع لنا، ثم فجأة، لم يعد أى شىء من ذلك ممكنًا، ولم يعد بوسعنا سوى الصلاة على جثمانه الطاهر فى المسجد، والدعاء له بأن يُسكنه الله فسيح جناته!

كان كالعهد به شعلة من الحماس والنشاط، ونموذجًا للخير والنقاء، يدير آخر ندوة حضرها بأستاذيته المعروفة، ومحبته الصادقة للأدب والأدباء، وحسن تقديره لجمهور الحاضرين، وترحيبه بهم.

وباغتته أزمة صحية طارئة، توجسنا منها خيفة لفرط إعزازنا له، بيد أنها ما لبثت أن زالت عنه بفضل الله، بعد تناوله حبه دواء كانت معه، فعاد لنا اطمئناننا عليه، ولكن يبدو أنه أخفى بعض متاعبه وآلامه، حرصًا منه بمشاعره الرقيقة، على عدم تكدير صفو مشاعرنا المحبة له.

فى اليوم التالى، أى السابق رحيله مباشرة، اتصل تليفونيًّا على غير توقع، بصديقنا المشترك الأديب عصام الصاوى، الذى ذكر لى

---

* - نشرت فى جريدة "الحياة" فى ٥ مايو ٢٠٠٢.

مندهشا ان الاتصال استمر حوالى ساعة كاملة، فقلت له:

"لعلها شفافية الروح عند صديقنا الحبيب، جعلته يودع بعض أحبائه قبل رحيله!".

وفى يوم الرحيل نفسه، اتصل على غير توقع أيضًا، بصديقنا المشترك الناقد أحمد عبد الرازق أبو العلا، الذى أبلغنى أنه بعد انتهاء المكالمة بنصف ساعة فقط، تذكر أمرًا يجب أن يقوله للأستاذ عبد الرحمن، فطلبه، ولكنه فوجئ بمن يرد عليه قائلا:

"لقد توفى عبد الرحمن!".. "البقاء لله"!

ولقد قُدِّر لى أن أحظى بصداقة الأخوين: على وعبد الرحمن شلش، ولكن لمدة سنوات قليلة بالنسبة لكل منهما، لدرجة أننى اليوم أحسب أن ذكرياتى معهما، كانت من قبيل الأحلام الجميلة، التى تمر بالإنسان فتسعده بعضًا من الوقت، ثم تنتهى ولا تتكرر!

فى النصف الثانى من الستينيات تعرفت إلى الأستاذ على شلش، فى دار الأدباء، وجمعت بيننا الندوات الأدبية بانتظام، وكان وقتها يحضر للدكتوراه، وفى أواخر عام ١٩٧٢ ودعته عند سفرى الطويل للكويت، وأعتقد أنه سافر بعد ذلك فى بعثة دراسية للخارج عاد منها بالدكتوراه، ولكننى ظللت محتفظًا به على الدوام فى وجدانى وذاكرتى، وحين ودعته لم أكن أدرى طبعًا أنه الوداع الأخير بينى وبينه، فقد رحل رحمه الله وأنا خارج مصر!

وفى أواخر عام ١٩٩٧، بعد غياب ربع قرن من الزمان، عدت لأجد العوض فى أخيه الأستاذ عبد الرحمن شلش، ولو أن كلا منهما لا يمكن تعويضه!

تعرفت إليه فى نادى القصة، فخيل إلىَّ أننى أعرفه منذ الزمن القديم زمن أخيه الجميل، فقد وجدت فيه كل المزايا النبيلة والصفات الحميدة التى أحببتها فى أخيه الأكبر، وكأن أحدهما توأم للآخر،

وبالفعل كثيرًا ما كنت أنادى الأخ باسم أخيه، ثم أستدرك وأصحح.

وطبعًا، اعتز بى الأستاذ عبد الرحمن أكثر وأكثر عندما علم أننى كنت من قبل صديقًا لأخيه الراحل الدكتور على.

بعد التعارف بأيام قليلة، قرأ الصديق العزيز الأستاذ عبدالرحمن شلش، بعين الناقد الخبير، كتابى الأول "فى مدرسة البنات" الصادر فى الكويت عام ١٩٨١، وحتى لا يقسو علىَّ فى النقد، بادرته وذكرت له أن قصص المجموعة كتبت فى فترة الستينيات، فقال لى على الفور:

"صدِّقنى، إنها لا تزال محتفظة بجودتها الفنية، وقيمتها الأدبية، لقد أحسست معها بمتعة حقيقية وكأنها كتبت بالأمس فقط".

وأثناء الإعداد لمناقشة كتابى الثانى "أشياء لا تموت" فى ندوة نادى القصة، اتصل بى قائلا:

"لقد دعوت لك كل النقاد المتفق عليهم، اتصل بهم من جانبك أنت أيضًا، للتأكيد عليهم، ومراعاة للأصول، فأنت صاحب العمل الذى سيناقشونه وصاحب الدعوة، ولا تنس الأستاذ عمرو الشامى بإذاعة البرنامج الثقافى، لكى تذاع الندوة".

وفى نهاية الندوة ذكَّرنى بما سبق أن أشار إليه، من ضرورة إثبات تاريخ كتابة كل قصة فى نهايتها، وأضاف قائلا:

"ويا حبذا لو سجلت أيضًا تواريخ النشر فى الصحف والمجلات، تسهيلا للقراء والدارسين المتخصصين".

ولكننى بكل أسف، فاتنى أن أنفذ ذلك فى كتابى الثالث "لحظة الانتقام"، وآمل أن أعمل برأيه المفيد فى كتبى التالية إن شاء الله، لأننى فعلا مقتنع بوجهة نظره تمامًا.

هكذا كان رحمه الله يهتم اهتمامًا صادقًا ومخلصًا بشئون جميع أصدقائه، وكأن له غاية عظمى فى ذلك، نعم، كانت له غاية عظمى فى ذلك، ألا وهى حب وسعادة جميع الأصدقاء والزملاء، ورقى

ورفعة الأدب والأدباء.

ونحن معشر أصدقائه المخلصين والمقربين، لم يكن ليخفى علينا أن مشاعره الإنسانية المرهفة، وهمومه الأدبية العامة، كانت جميعها وراء أزمته الشخصية.

فقد لمس مؤخرًا كما صرح لى، أن الحب الموجود بين الزملاء، الأدباء والنقاد أعضاء نادى القصة، ليس كما ينبغى له أن يكون، وغير كاف أبدًا لبناء صرح أدبى شامخ ومتكامل، كل لبنة فيه وثيقة الصلة بما حولها، وتشكيل فريق ثقافى متناغم، كل عضو فيه وثيق الارتباط بزملائه، ولنعزف جميعًا معًا منظومة العظمة والخلود للأدب المصرى والعربى.

من التراث:

محمد المويلحى.. و.. حديث عيسى بن هشام

نظرة عامة:

حديث عيسى بن هشام يعد فى طليعة الكتب المؤلفة فى الأخلاق والعادات والنقد الاجتماعى، ويمكننا أن نعتبره مثالا رائعًا لنهضة الأدب العربى فى الشرق، وما من شك فى أنه كان العامل الأول فى بناء صرح النهضة الحديثة للغة العربية، وسلاسة لغته تعيد إلى الذاكرة أسلوب الكتابة الفنية "لجونكور" والإنشاء الخيالى "لهويسمان".

ولقد صور "محمد المويلحى"، مؤلف الكتاب، الحياة المصرية فى شتى مظاهرها الاجتماعية بقلم جرىء وصراحة واضحة وإخلاص بلغ حد القسوة فى تصوير الحقائق الواقعية تصويرًا دقيقًا، يذكرنا بكتابات "بلزاك" و"فلوبير".

ومما هو جدير بالذكر أن نقد المويلحى لعادات وأخلاق معاصريه قد ساير الأيام والسنين، فلم يقف أثره فى الإصلاح عند زمن معين أو مكان محدد.

ولقد حاول كثيرون من كتاب الأدب أن يحذوا حذو المويلحى فى كتاباتهم، وأن يسابقوه فى هذا المضمار، لكنهم أخفقوا جميعًا، وثبت أنه من المتعذر أن ينسج كاتب على منوال حديث عيسى بن هشام، أو أن يصل إلى سمو أسلوبه مقلد، فهو قد بلغ المثل الأعلى للإنشاء الوصفى، ودقة تصوير المجتمع.

ولقد بزغ نوره فى فجر النهضة الحديثة للأدب العربى، فمحت آيته مختلف المقامات الأدبية، وهدى لنوره الرجعيين القدامى من كتاب الأدب، واسترشد بسناه المجددون من الأدباء، فسلكوا من بعده الطريق المعبد إلى المستقبل المثمر.

هذه مقتطفات اخترتها مما كتبه المستشرق الفرنسى "هنرى بيرز"، لأنى وجدتها خير تقديم للكتاب الذى بين أيدينا.

وقد صاغ المويلحى فكرته فى شكل المقامة العربية، مراعيا أصولها التقليدية، واستعمل السجع والبديع، وأسلوبه يتميز بالطابع المصرى الأصيل، الذى يحوى النكتة المستترة، والحزن الصامت المقنع.

وحديث عيسى بن هشام يجمع بين خصائص الرواية والمسرحية، من حيث الفكرة المشتملة على بعض العقد، وتعدد الشخصيات وكثرة الحوار والحركة، كما أن بعض فصول الكتاب تشبه المقالة الصحفية من حيث الشكل والمضمون وطريقة المعالجة، وقد نشر المويلحى كتابه على حلقات فى جريدة والده "مصباح الشرق" فيما بين عامى ١٨٩٨ – ١٩٠٠.

المؤلف:

ولد محمد المويلحى سنة ١٨٥٨ وهو ابن إبراهيم بك المويلحى، الذى كان كاتبًا عظيمًا وسياسيًّا قديرًا.

وكانت أسرة المويلحيين قد جاءت إلى مصر من ثغر "المويلح" يشبه جزيرة العرب على شاطئ البحر الأحمر، ونسب الأسرة يمتد إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأبى بكر الصديق ﷺ.

وكان محمد بك المويلحى يتحدث بضع لغات، منها الفرنسية والإيطالية، وقد زار الكثير من الدول الغربية.

وكان من طراز المصلحين الذين وهبوا أنفسهم لوطنهم، وقد اشترك مع جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى إصدار جريدة

"العروة الوثقى" بباريس، كما اشترك فى تحرير أكثر من جريدة منها "مصباح الشرق" التى كان يصدرها والده.

وفى عام ١٩٢٥ طلب إليه صاحب جريدة مصرية مشهورة أن يكتب للجريدة مقالين فى الشهر، لقاء أجر قدره ثمانون جنيهًا، على أن يتقيد بلون معين من الكتابة السياسية، فأجابه بقوله: "قلم المويلحى لا يباع".

وفى عام ١٩٢٧ قررت وزارة المعارف "حديث عيسى بن هشام" أو "فترة من الزمن" للمطالعة فى المدارس الثانوية، هو ومؤلف آخر تركه المويلحى قبل وفاته، اسمه "رسائل فى الأخلاق" أو "علاج النفس".

وقد توفى رحمه الله فى آخر فبراير عام ١٩٣٠، ورثاه شاعر النيل المرحوم حافظ إبراهيم بك بأبيات مطلعها:

غاب الأديب أديب مصر واختفى فلتبكه الأقلام أو تتقصفا

ورثاه أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقى بك بقصيدة.. منها:

علم فى البيان وابن لواء أخذ الشرق حقبة إبداعه

الكتاب:

تدور أحداث الرواية فى مطلع القرن العشرين، ويبدأها الراوى "عيسى بن هشام" فيخبرنا أنه رأى نفسه فى المنام يتمشى بين القبور فى صحراء الإمام، وإذا به يسمع رجة عنيفة ترعبه، ويلتفت فى خوف، فيصعقه أن يرى قبرًا ينشق، ثم يخرج منه رجل طويل القامة، عليه سمات الجلال والعظمة، نعرف فيما بعد أنه الدفين "أحمد باشا المنيكلى" ناظر الجهادية المصرية فى عهد "محمد على وإبراهيم" وكان قد مات قبل زمن الرواية بأكثر من خمسين عامًا.

وهذه حيلة لجأ إليها المؤلف ليقارن بين عصرين، ويعرض حياة جيلين وما اختلف فيهما من قوانين وأنظمة وعادات.

وتنشأ محاورة بين عيسى بن هشام وأحمد المنيكلى الذى بعث حيًا من القبر، نعلم منها أن القاهرة كانت فيما مضى، ذات أبواب وحراس، ولا يسمح بالدخول إلا لمن يعرف كلمة سر الليل.

يستعير المنيكلى رداءً من ابن هشام الذى يجدُ معه فى البحث عن بيته، ويندهش إذ يجد الشوارع مسماة والبيوت مرقمة.

يعترض طريقهما "مكارى" لئيم يحاول استدراج المنيكلى لركوب الحمار، فيرفض متعاظمًا، فتنشب معركة بين الثلاثة، ويأتى البوليس متباطئًا بعد كثرة صياح المكارى..

وفى القسم، يدعى أن المنيكلى ركب الحمار ولم يدفع أجرًا، ويصبح المنيكلى فى موقف مهين، وهو الذى لا يعرف معنى القسم والبوليس، ويتذكر مجده وجاهه، فيأمر "الجاويش" بإدخال المكارى إلى السجن، فيسخر منه الجاويش ويتهمه بالجنون!

ويكون السجن من نصيب المنيكلى نفسه، حتى يتم الكشف عن صحيفة السوابق الخاصة به، فيصاب بالذهول ويقع مغشيًا عليه عند سماعه هذا الحكم، ويتصادف أن يكون وقوعه فوق عسكرى فى غير ملابسه الرسمية، يقوم بكنس أرضية القسم.. وتصبح هذه ثانى قضية يتهم فيها المنيكلى!

ويمضى المؤلف – متقمصًا شخصية عيسى بن هشام – فى تصويره اللاذع للمساوئ والانحرافات بين رجال البوليس والقضاء، فنراهم ينامون فى مقر عملهم، ويأخذون الرشوة، ويقضون ليلهم فى شرب الخمر ولعب القمار!

وفى المحكمة الأهلية لم يستمع القاضى للمحامى والشهود كما يجب، لأنه كان متعجلا، يريد أن ينتهى من النظر فى ثلاثين قضية قبل الظهر، ليلحق بوليمة غداء دعى إليها هو وبعض رفاقه.. فحكم على المنيكلى – باشا – بالحبس سنة ونصفًا مع الصاريف.. ولا يملك المنيكلى إلا أن يمتثل، وينتظر حتى يعود إليه سلطانه السابق،

فينتقم من كل الذين أساءوا إليه، ولكن ابن هشام كان له تصرف آخر، فتحولت القضية إلى محكمة الاستئناف، وتم الحكم ببراءة المنيكلي، وبقيت مشكلة أتعاب المحاماة، فالمحامي يريد أن يتقاضى أجره فورًا، والمنيكلي يسأله أن يصبر حتى يأتيه بعض خدمه بالمال.

ويمضي ابن هشام مع المنيكلي للبحث عما تركه من الضياع والوقف، فلا يجدان أثرًا لشيء، ويصادفهما أحد أتباع المنيكلي، فيقودهما إلى ورثته، لكن هؤلاء يتنكرون له تمامًا، ويعتقدون أنه شخص مجنون، فيضطر للاقتراض من تاجر كان له فضل سابق عليه.

ويلجأ المنيكلي إلى المحكمة الشرعية للمطالبة بالوقف، يرافقه ابن هشام، ويستعينان بمحام شرعي مخادع، ينطبق عليه قول الشاعر:

إذا رام كيدًا بالصلاة مقيمها فتاركها عمدًا إلى الله أقرب

ولا يتم استخراج المستندات اللازمة من الدفترخانة الشرعية إلا بعد تقديم الرشوة للموظفين، لكن المحكمة كانت تؤجل القضية في كل مرة لعدم حضور المدعى عليه، رغم الإنذارات التي وجهت إليه!

ويذهب بنا المؤلف إلى قصر حفيد الباشا، فنعلم أنه مدين للكثيرين من الناس رغم فخامة القصر الذي يعيش فيه.

وفي جميع أجزاء الرواية يتفنن المؤلف في المقارنة بين الماضي والحاضر، والقديم والجديد، فكلما رأى المنيكلي شيئًا لا يعرفه – بحكم تغير الزمن – سأل عنه، فيجيبه ابن هشام بما يعطي صورة للحاضر، فيمضي المنيكلي إلى ذكر الشيء المماثل في الزمن الماضي.. وهكذا تتم المقارنة في إطار فني شيق.

ويمرض الباشا فيلجأ إلى الطبيب، وهنا يعرض لنا المؤلف عيوب الحالة الصحية في العهدين اللذين عاشهما المنيكلي.

ويتفشى وباء الطاعون في البلاد، فيعتزل الباشا وصاحبه الناس، ويشغلان وقتهما بالاطلاع في كتب العلم والأدب، حتى يميل الباشا

إلى الدراسة والتأمل، فيطلب من ابن هشام أن يذهب به إلى مجالس العلماء، وينتهز المؤلف هذه الفرصة، فيحدثنا عن مساوئ العلماء وعيوب مجالسهم.

ثم يأخذنا فى زيارة إلى طائفة من أرباب الوظائف الحكومية، ثم إلى بعض الأمراء من أبناء الأسرة العلوية.. والزيارتان هدفهما الدراسة والنقد.

وتزداد رغبة المنيكلى فى البحث والاطلاع على الطباع والعادات، فيأخذه ابن هشام إلى أحد الأعراس، ويشرح له – ولنا – كل ما يتعلق بالحفلات والأفراح.

ويسير المؤلف على نفس الخط فيذهب بنا إلى حديقة الأزبكية، وهنالك نلتقى بالعمدة، وهو شخص ريفى مترف، يتابعه المؤلف ليصوره لنا كفرد فى المجتمع، ثم يسلط عليه مزيدًا من الضوء، فيجعلنا نشاهده هو والجو المحيط به فى المطعم والحان، والمرقص والأهرام وغيرها.

وفى نهاية هذه الجولات يتساءل الباشا عن السبب فيما رآه من انحلال لم يكن موجودًا أيام حياته الأولى، فيجيبه ابن هشام، بأن السبب يرجع إلى دخول المدنية الغربية بغتة فى البلاد الشرقية، وتقليد الشرقيين للغربيين تقليدًا أعمى!

ويكون ذلك الحديث سببًا فى أن يطلب الباشا زيارة بلاد الغرب..

وبالفعل يأخذنا المؤلف فى رحلة ممتعة إلى باريس، فيطلعنا على جميع أوجه الحضارة والمدنية هناك، ولا يفوته أن يضع أمام أعيننا صورًا مختلفة للانحلال والانحراف فى المجتمع الغربى.

وأخيرًا يعود بنا المؤلف من الغرب إلى الشرق قائلا:

ولم يكن لنا بد فى هذه الحال من السفر والانتقال، فاستخرنا الله فى العودة إلى ديارنا والأوبة إلى أوطاننا، والحمد لله باطنًا وظاهرًا.

سبتمبر ١٩٦٨

لقاء مع الشاعر الكويتى
عبد الله زكريا الأنصارى(*)

مقدمة:

ترجع صلتى الشخصية بالمفكر الكبير الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى إلى ما يقرب من عشر سنوات مضت، أما صلتى الفكرية به، فهى أبعد وأطول من ذلك عمرًا، حيث كنت - ولا أزال - أقرأ له فأستمتع بما أجده فى كتاباته من قوة المعنى، وأصالة التجربة، وعمق الثقافة، وثراء الفكر، فكان ثمة لقاء دائم بينى وبين فكره العربى الأصيل.

ثم اقتربت منه أكثر، من خلال الرسائل الشخصية التى بدأنا نتبادلها فى أواخر الستينيات.. كما حرص المفكر الرائد، على أن يهدينى مشكورًا، نسخة من كل مؤلف جديد يصدر له، بل وكان يرسل إلىَّ شهريًا وبانتظام أعداد مجلة البيان الغراء. حيث كنت فى القاهرة لا أزال.

وكانت قصصى ومقالاتى تنشر فى مختلف الصحف والمجلات المصرية والبيروتية.. ولكنى كنت أشعر بسعادة خاصة كلما نشر أحد أعمالى فى مجلة "البيان الكويتية" وكان الأستاذ الأنصارى رئيس التحرير - آنذاك - يقدر إنتاجى خير تقدير.

وفى إحدى الرسائل كتب إلىَّ يخبرنى بموعد إحدى زياراته

---

* - نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ٣ مايو ١٩٧٨.

للقاهرة، ويحدثني عن رغبته في أن نلتقي على ضفاف النيل العظيم.

والحقيقة أنني سعدت بلقائه أعظم سعادة، حيث قضيت معه أمسية فكرية ممتعة.. بالعجوزة.. في شقته المطلة على نهر النيل الخالد.

ومن ثم توثقت صلتي بالأستاذ الأنصاري.. وبعد أن استقر بي المقام في الكويت، كان أول شيء فعلته، هو أن قمت بزيارته في بيته العامر بالشامية.. فكان اللقاء حميمًا وممتعًا.

وما أقدمه اليوم، هو حوار فني، دار بيني وبين شاعرنا الكويتي الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري.. حول مختلف القضايا الأدبية والفكرية.. العربية والمحلية.

الواقع العربي.. والحرب النفسية:

- **أعتقد أن أدبنا المعاصر قد تأثر إلى حد كبير بواقعنا العربي الراهن وبالتحديات الخارجية في هذه المرحلة التاريخية من حياة أمتنا. فما هي وجهة نظركم في ذلك؟**

- يخيل إليَّ أن الحركة الأدبية في الوقت الحاضر تتعرض لحرب نفسية، تشنها القوى الاستعمارية على أمتنا العربية، وهذه الحرب موجهة بالذات إلى اللغة العربية وتستهدف تضييع أصالة لغتنا القومية، وتشويه تراثنا وتاريخنا.

وأيضًا، فإن سبب تمزق الأدب العربي في البلاد العربية، هو تمزق البلاد العربية أصلا، فالبلاد العربية لو نظرنا إليها اليوم لوجدناها متعددة، لكل منها تقاليد وعادات ونظم وقوانين. وكل بلد يكاد أن يكون معزولا عن بقية البلاد الأخرى، وهذا هو سبب تجزئة الأدب العربي وضعفه، ولو كانت أجزاء الأمة العربية متفقة ومتحدة لأصبح هناك أدب عربي قوي يمثل هذه البلاد العربية ككل، والأصالة العربية بوجه عام.

ومن حسن الحظ أن الأمة العربية فيها أدباء وشعراء أصلاء، يؤمنون بالقضية العربية الراهنة، والوطن العربي الشامل.

المجلات الأدبية

*** من الملاحظ أن بعض المجلات الأدبية تتعثر فى الصدور، بل وقد تتوقف تمامًا. فما هى الأسباب فى رأيكم؟**

- المجلات الأدبية تعبر عن الفكر الإنسانى، بشكل جاد وعميق، ومعظم قراء اليوم يريدون الشيء السهل الذى لا يحتاج إلى كد فكرى، كما أن الكثيرين قد انصرفوا إلى الاستمتاع بالإذاعة والتليفزيون والسينما، والقارئ الأصيل فى البلاد العربية موجود، ولكن بنسبة قليلة، إلا أنه مهما تكن هذه النسبة، فإن المجلات الأدبية ينبغى أن تكون موجودة ومستمرة وسوف تجتذب المزيد من القراء.

وأعتقد أن الوطن العربى يحتاج إلى مجلة أدبية جامعة، تعبر عن الأدب العربى فى مختلف أنحاء البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، لأن الأديب العربى عندما يكتب قصيدة أو قصة بالفصحى، فإنها تقرأ فى مصر كما تقرأ فى الكويت، وسوريا ولبنان.. وجميع البلاد العربية.. ولأنا ضد فكرة تقسيم الأدب، إلى أدب مصرى وأدب كويتى وأدب جزائرى.. فأدبنا جميعه هو الأدب العربى.

الأدب فى الكويت:

*** وجود "رابطة الأدباء" يعد من المظاهر الصحية للحركة الأدبية فى الكويت، فما هى أوجه نشاط هذه الرابطة؟**

- نشاط الرابطة الآن يعتبر أضعف مما نرجو، والسبب قلة الإمكانيات. والرابطة تصدر مجلة "البيان"، وتقيم فى مقرها اجتماعات أسبوعية لمناقشة القصص والقصائد والأبحاث، وإلقاء المحاضرات وغيرها.

*** كثر الحديث هذه الأيام عن غياب الأدب الكويتى، والبعض قد يبالغ فى مثل هذا الحديث، فهل ترسم لنا صورة واضحة لملامح**

الحركة الأدبية الكويتية.. الآن؟

- الكويت مرت بموجات أدبية مختلفة. فقبل ٥٠ سنة كانت هناك حركة أدبية لا بأس بها، ثم ضعفت، ثم نشطت. وحاليًا توجد حركة أدبية ولكننا غير راضين عنها، لأنها غير كافية، إذ يجب أن تكون هناك حركة أدبية قوية ونشيطة تعبر عن روح المجتمع العربى فى الكويت وتتجاوب مع النهضة الأدبية فى مختلف أنحاء البلاد العربية.

* **الدعوات الأدبية، هى إحدى وسائل التبادل الثقافى بين البلاد العربية، فهل ترون أن مثل هذه الدعوات، يتم تبادلها بالقدر الكافى؟**

- الدعوات الأدبية فيها فائدة كبرى، ولذلك يجب أن نكثر منها. والأديب المقيم فى أى قطر عربى عندما يُدعى إلى قطر عربى آخر، يجب أن يشعر بأنه فى وطنه كأديب عربى، وليس كأديب سودانى مثلا أو عراقى أو تونسى، فكلنا أدباء عرب.

وأيضًا يجب الإكثار من المؤتمرات الأدبية، بشرط أن يتم تنفيذ ما يتخذ فيها من القرارات والتوصيات.

الكتاب العربى:

* **الكتاب العربى الآن يعانى من سوء التوزيع، فكيف يمكن التغلب على هذه الظاهرة؟**

- يجب تشجيع الكتاب العربى، ورفع جميع القيود المفروضة عليه حتى يسهل تداوله.

ونسبة القراء الجادين لها دخل.. وأعتقد أنه يمكن زيادة نسبة القراء بجعل سعر الكتاب فى متناول الجميع.

* **فى السنوات الأخيرة، كثر الجدل حول الشعر الحديث، إذ اختلف القراء والنقاد على حدٍّ سواء فى تناوله وتقييمه، والحكم له أو عليه. فما هو موقعكم من قضية الشعر الحديث؟**

- الشعر الحديث هو الذى يأتى بمعان حديثة، ويعبر عن العصر من حيث المضمون وليس الشكل فقط.

والشعر العربى بطبيعته شعر غنائى يتغنى عن الفرح والحزن، والشعر الغنائى لا بد أن يكون له إيقاع ونغم، أما إذا فقد الإيقاع والنغم فإنه لا يصبح شعرًا. وأكثر الشعر الحديث غير صالح للغناء لأنك مثلا تجد فيه شطرة مكونة من كلمة واحدة، وأخرى مكونة من عشر كلمات وهذا يفقده الإيقاع والنغم، ولذلك يجب وضع أصول وقواعد للشعر الحديث.

والشاعرة "نازك الملائكة" طالبت بنفس الشىء، وهاجمت الكثيرين ممن يكتبون الشعر الحديث الخالى من القواعد والأصول.

ومن كتاب الشعر الحديث من يكتبون قصائد مختلفة الأوزان والقوافى، رغم ذلك نجد فيها أصالة الفن إذا كان الشاعر أصيلا مثل "محمود حسن إسماعيل".

ومن مضار الشعر الحديث أنه يسمح للكثيرين ممن لا يملكون الأصالة الشعرية بأن يندسوا بين الشعراء، ويكتبوا كلامًا يسمونه شعرًا، وهو فى حقيقته ليس شعرًا بالمرة.

إن الشعر هو روح الإنسان وشعوره، والشاعر الأصيل هو الذى يعبر عن شعور حقيقى ومعاناة صادقة، وهو حينما يمر بتجربة يعانى معاناة شديدة ويغلى مثل المرجل، فيأتى شعره صادقًا أصيلا.

ونحن اليوم إذا أخذنا قصيدة من الشعر الجاهلى وقرأناها فى المغرب أو البحرين أو اليمن، فإن السامعين سوف يهتزون إعجابًا.. لماذا؟.. لأنها قصيدة عربية صميمة وأصيلة.

وبالمناسبة، فإن الناقد قد يستطيع أن ينقد الشعر من حيث اللغة والوزن والقافية ولكن لا يجوز له أن يحكم على شاعرية الشعر ما لم تكن لديه روح الشاعر، ومر بالتجارب الشعرية.

*** بقى أن نعرف رأيكم – كشاعر – فى القصة القصيرة.**

– قرأت العديد من القصص، وأعتقد أن بعض القصص تكون معبرة تعبيرًا صادقًا عن كاتبها، مثلما تعبر القصيدة عن شعور الشاعر.. وإن كان الأسلوب يختلف.

وأنا ضد الغموض والإبهام فى القصة والشعر. وإذا كان الأديب أو الشاعر فى موقف يحتم عليه استخدام الرمز فليرمز رمزًا فيه أصالة ويمكن فهمه.

وأنا لم أكتب غير قصة واحدة فقط ولم أنشرها.

عبد الله زكريا الأنصارى.. وداعًا!

كان المغفور له بإذن الله تعالى، المفكر الجليل والشاعر الكبير الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى علمًا من أعلام الكويت، ورمزًا بارزًا من رموزها الثقافية، ورائدًا من رواد النهضة والتنوير فيها، امتد ضياؤه إلى كل أرجاء الوطن العربى.. من المحيط إلى الخليج.

غير أننا بقلوب حزينة ولكنها مؤمنة وراضية بقضاء الله، نقول له: وداعًا، وسلامًا.. تنعم به روحك الطاهرة إن شاء الله.

علمت بنبأ انتقاله إلى رحاب الله، من المقال المنشور فى صدر مجلة العربى الغراء، فى مطلع شهر يوليو ٢٠٠٦.

هزنى النبأ الأليم هزًّا، وحرك فى نفسى ذكريات غالية، سعدت فيها بشرف القرب من الراحل الكريم زمنًا طويلا، أعرضها بإيجاز ليستشف منها قراء "العربى" الأعزاء مدى سمو وعظمة وتواضع المفكر الإنسان والأديب الشاعر الذى استحق بجدارة أن يكون أستاذًا للأجيال ورائدًا للتنوير فى وطنه العربى الشامل.

كان يرحمه الله يكبرنى بحوالى خمسة عشر عامًا، ولكنه لم يشعرنى بذلك يومًا، ولا حتى أشعرنى بأن قامته الأدبية والفكرية أكبر كثيرًا من قامتى، بل ولم يشعرنى بأى فوارق أخرى بيننا جميعها فى صالحه.

كان بالنسبة لى أستاذًا ومعلمًا، ولكنه بتواضعه الشديد اتخذنى صديقًا.

فى بداية تعارفنا أوائل السبعينيات، كان رئيسًا تحرير مجلة "البيان" الكويتية، بالإضافة إلى منصبه الأساسى.. "مدير إدارة" بوزارة الخارجية، وكنت – آنذاك – أطرق أبواب مجلته من القاهرة،

آملا أن ينشر لى على صفحاتها قصة أو مقالا، فإذا به يكرمنى وينشر كلا منهما وبينهما فاصل زمنى بسيط، ويخاطبنى فى رسالة كريمة منه بتاريخ ١٩٧٠/٤/١٢ قائلا:

".. لقد بادرنا بنشر قصتكم الجيدة.. فى العدد الممتاز.. كما أننا سننشر لكم دراستكم..".

وتوالى بعد ذلك النشر والتراسل، وصار يشرفنى ويهدى إلىَّ عبر البريد كل كتاب يصدر له، إضافة إلى كل عدد من مجلة البيان به مادة منشورة باسمى.. وصورتى.

ثم هيأ لى مفاجأة سارة عندما تواجد بالقاهرة، وأعرب لصديقى الأديب "رستم كيلانى" عن رغبته فى أن يلتقى بى ويرانى، كتوثيق إنسانى لما بيننا من علاقة أدبية عمرها - حينئذ - يقترب من العامين، فسعيت إليه برفقة صديقى وسعدت بلقائه لأول مرة بتاريخ ١٩٧١/١٢/١٤ فى شقته الخاصة المطلة على النيل بالعجوزة.

استمتعنا ثلاثتنا بقضاء أمسية ثقافية (مصرية - وكويتية)، أردت أن أسجلها للأجيال، وأعبر من خلالها عن ترحيبى وحفاوتى بالشاعر الكبير، فأمسكت بقلمى وأوراقى وأجريت معه حوارًا فكريًّا وأدبيًّا، ليستفيد من ثقافته الواسعة وتجاربه المتنوعة قراء مجلة "القصة" التى كنت أعتزم نشر الحوار فيها.

أعتقد أن تلك الأمسية الحميمية أكدت ميلاد صداقة فريدة بيننا، وتركت فى نفس الأستاذ أثرًا طيبًا، لأنه بعدها كتب إلىَّ رسالة رقيقة بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢ تضمنت قوله:

".. آمل أن نراكم على ضفاف النيل العظيم قريبًا إن شاء الله تعالى..".

وأهدانى صورة شخصية له، وذكرنى بضرورة تزويده بنسخة من المجلة التى سأنشر بها الحوار.

إلا أن سوء الحظ لاحقنى، فتعثرت مجلة "القصة" وتوقفت عن

الصدور لأسباب مادية، وتعين علىّ أن أبحث عن مجلة أو صحيفة بديلة لنشر الحوار.

ولكن الأقدار شاءت أن أسافر إلى الكويت بعد ذلك بأشهر قلائل، للعمل فى التدريس والإقامة فى ذلك البلد الشقيق، إقامة دامت ربع قرن من الزمان.

ولعله من المعروف للجميع فى تلك الفترة بالذات حجم الإجراءات والمشاكل التى لا بد أن يمر بها المواطن المصرى الذى يريد أن يحصل على إجازة بدون مرتب، أو حتى يستقيل من عمله للالتحاق بعمل آخر لدى جهة خارجية، ولو أنها عربية وشقيقة، إضافة إلى متطلبات السفر ذاته على المستويين، الشخصى، والرسمى الذى يتطلب إجراءات لا حصر لها، إلى آخر تلك الدوامة التى استغرقتنى تمامًا لدرجة نسيت معها تقديم الحوار للنشر بكل أسف!

وكنت قد اخترت الكويت للتعاقد معها من بين ثلاث دول وصلت مع كل منها إلى مرحلة التعاقد، ولكنى فضلت العمل والإقامة فى الكويت لجملة أسباب، من بينها، إن لم يكن أهمها، أن لى فيها صديقًا من أهلها أعتز بصداقته كثيرًا جدًّا.

ولقد رحب بى الأستاذ العظيم فى بلدى الثانى – على حد قوله – أجمل ترحيب.

استقبلنى فى مكتب، وزودنى بأهم المعلومات التى يجب أن أعرفها عن طبيعة وطنه ومواطنيه، وأبدى استعداده التام لمساعدتى بأى شكل من الأشكال، فشكرته ممتنًا.

ودعانى وأسرتى لزيارته وأسرته عائليًّا، بعث سيارة بسائقها إلىّ على دار الضيافة حيث الإقامة المبدئية، فأقلتنى وأسرتى الصغيرة إلى بيته العامر بالشامية، فجمعتنا سهرة عائلية لا تنسى، أسعدتنا خلالها أمور كثيرة، لعل أهمها نبأ تخرج كريمته فى كلية العلوم، متلما

تخرجت أنا قبل عدة أعوام – آنذاك – من الكلية المثيلة والجامعة النظيرة.. ونجاح الأبناء عمومًا شيء مفرح.

وفى الكويت، كان عليّ الاهتمام بعملى الأساسى بالدرجة الأولى طبعًا، إضافة إلى حتمية القيام بما يلزم للاستقرار فى مسكن مناسب وتأثيثه بما يليق، ثم كانت هناك ضرورة اقتناء سيارة خاصة كوسيلة للمواصلات لا غنى عنها، بعد الحصول على رخصة قيادة كويتية، وما أصعب ذلك، وكان لا بد لى من التعرف على خريطة المدينة، لكى أستطيع التوجه مثلا نحو مواقع دور الصحف والمجلات، والتعرف على بعض المسئولين عنها والكتّاب فيها، وكذلك مواقع بعض الهيئات الثقافية والأدبية ذات الأهمية، مثل وزارة الإعلام، ورابطة الأدباء.. وغير ذلك، لأمهد لنشر الحوار فى مطبوعة تليق به.

ولكن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن، فقد أصبت وسيارتى فى حادث مرورى مؤسف، بسبب خطأ الغير، لا أزال أعانى حتى اليوم من آثار ما أحدثه بى من إصابات!

كما كان هناك شاغل إجبارى مستمر وفى غاية الأهمية، وهو دورات الرياضيات الحديثة أو المعاصرة.. المسائية، التى كانت وزارة التربية تنظمها لنا مشكورة بشكل شبه متواصل، وكانت تعقد لنا الامتحانات فى نهاية كل دورة.. وهل يليق بأى أستاذ معلم أن يرسب؟!

طبعًا كنا نتفانى فى الدراسة ليلا ونهارًا، لنضمن لأنفسنا ولمن نعلمهم جودة المستوى، وهذه وحدها ميزة تحسب لوزارة التربية الكويتية..

وأعود إلى ما كنت أتحدث عنه، فأقول إن مثل هذه الأمور المستجدة والمتشعبة، شغلتنى أيضًا بكل أسف عن تقديم حوار الشاعر الكبير معى للنشر، لمدة زادت على خمس سنوات فيما أظن، حتى بات الأمر مخجلا جدًا، ولكن الأستاذ العظيم لم يشر إلى ذلك قط!

فما كان من موضوع الحوار ذاته إلا أن ألح على ذهنى ضاغطًا

بقوته الذاتية الكامنة، فأسرعت بتقديمه للنشر فـــى جريـــدة القـــبس، وبمجرد نشره بتاريخ ٣ مايو ١٩٧٨، أســـرعت بـــإبلاغ الأســـتاذ، وكلماتى تتعثر بين شفتى لفرط تقصيرى وشدة خجلى!

لكن ذلك لم يفسد للود قضية فيما بين الأستاذ العظيم وبينى.

قبل وبعد تلك المعايشة التى بلغت درجة المواطنة فى الكويت، كنا نعيش وبيننا آلاف الكيلو مترات الفاصلة، ولكننى كنت مطمئنـــا إلـــى وجوده كما لو كان على مقربة منى، إذا اتصلت به سمعت صـــوته، وإذا كتبت له تلقيت رده، وعبر الاتصال أو الكتابة كنا نتبادل حـــوار الأفكار والآراء.

الآن لم يعد أى شىء من ذلك ممكنًا!

لقد سبقنى فى الرحيل، وإلى أن يحين موعـــدى المحـــدد ســـأظل أتذكره دائمًا بالخير وأدعو له أطيب وأصدق الدعوات.

يوليو ٢٠٠٦

من الغرب:

حب ومال

أرسكين كالدويل(*)

أرسكين كالدويل، يعد من أبرز كتاب الرواية والقصة القصيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وقصة حياته تعطينا مثلا طيبًا للإنسان الذى يحدد له فى الحياة هدفًا ينشده، ثم يعمل على الوصول إليه بكل ما أوتى من جهد وإرادة.

كان أبوه واعظًا فقيرًا، ولعل ذلك هو ما دفعه لأن يشغل أوقات فراغه بأى عمل يتقاضى عنه أجرًا مهما يكن بسيطًا.. فقد عمل فى معصرة لبذرة القطن، وفى محل لعصير البرتقال، وفى مخزن للزجاج والفخار، كما أنه مارس بعض الحرف الأخرى، مثل.. قيادة السيارات، وبيع اللبن.. وكان مغرمًا بالرحلات لدرجة أنه قبض عليه ذات مرة بتهمة التسول.

وقد أحب الأدب وهو لا يزال طالبًا، وقرر أن يعد نفسه ليصبح كاتبًا فى المستقبل، وقد بدأ حياته الأدبية بكتابة بعض الأخبار الصغيرة فى إحدى الصحف الإقليمية، دون مقابل. ثم أخذ يراسل بعض الصحف الكبرى، ولكنها لم تكن تنشر له غير بعض أسطر من بين كل مائة سطر يكتبها، وبأجر ضئيل جدًّا.

وحين بلغ الحادية والعشرين، انقطع عن دراسته الجامعية، وعمل

---

*- نشرت فى جريدة "القبس" الكويتية فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٩.

محررًا صحفيًا. وفي تلك الأثناء بدأ محاولاته لنشر قصصه.. كان يبعث بها إلى صحف نيويورك فترد إليه مرفوضة.. رفضت له أكثر من خمسين قصة ولم يدركه اليأس، بل استمر يكتب المزيد من القصص.. كان يكتب في الليل، وفي النهار كان يزرع البطاطس ليأكل، ويجمع الحطب ليتدفأ.

ومن التصاقه بالفلاحين والفقراء، ورحلاته بين القرى والولايات، كان دائمًا يجد ما يعبر عنه.

ولقد حظي بقسط وافر من القراءة والثقافة، خلال فترة كان يكتب فيها التعليقات على الكتب وتنشرها له إحدى الصحف، وكان أجره على ذلك هو الكتب نفسها، التي باعها فيما بعد ليحصل على القوت الضروري.

وبعد ست سنوات طويلة شاقة، من التجربة والمعاناة، والصراع مع الكلمات والمعاني، وبعد أكثر من خمسين قصة مرفوضة.. نشرت القصة الأولى لأرسكين كالدويل.

كانت ممتلكاته.. آلة كاتبة نصف عمر، وحقيبة ملابس، وماكينة لف سجائر.. وكان يسكن في بيت قديم أو غرفة ضيقة، ويعيش على الكفاف أحيانًا.. وكانت قصصه تتعثر في النشر.. لكنه كان مصممًا على أن يصبح كاتبًا مشهورًا.. فأصبح، وأصبحت كتبه توزع بالملايين.. ثم اتخذ لنفسه وكيلا لأعماله وسكرتيرة خاصة.. وقد ظلت روايته "طريق التبغ" تعرض كمسرحية لمدة سبع سنوات ونصف دون انقطاع.. ثم تحولت إلى فيلم سينمائي، بالرغم من أن معظم النقاد كانوا قد هاجموها في بداية ظهورها كرواية.

ولقد ترجمت قصصه ورواياته إلى عدة لغات. وكانت حقوقه عن مؤلفاته التي ترجمت إلى الروسية، حقيبتين مملوءتين بأوراق النكنوت، تسلمها في حفل أقامه له اتحاد الأدباء بموسكو.

ونمضي إلى رواية "حب ومال" لأرسكين كالدويل، والتي ترجمها

إلى العربية الصحفى المعروف "لويس جريس"، فندرك – بعد ما علمناه عن حياة المؤلف – أنه هو نفسه بطل الرواية، وراويها.

بطل الرواية إذن كاتب، ونحن نلتقى به وهو يعيش فى أزمة نفسية، تحدث لجميع الكتاب وهى أزمة البحث عن فكرة مناسبة، لرواية جديدة.

ومنذ اللحظة الأولى، نشعر بصداقة وليدة تنمو بيننا وبين البطل "ريك"، ولا نملك إلا أن نحس بآلامه، ونتعاطف معه، حينما يتحدث إلينا قائلا:

فى كل مرة أشعر أننى على استعداد لكتابة رواية جديدة، أواجه فترة طويلة من التردد وعدم الرضا وتوتر الأعصاب، وتظل هذه الحالة تلازمنى حتى تتبلور فكرة الرواية وتصير محكمة ومسيطرة وثابتة فى ذهنى.

ويحدث غالبًا أنه أثناء هذه الأسابيع المليئة بالعذاب والمعاناة والتردد، أجد نفسى على وشك أن أقسم ألا أقدم على كتابة رواية مرة أخرى طوال حياتى.

وبالرغم من ذلك أبدأ فى كتابة الرواية، وعندما أكون على وشك الانتهاء منها، أعرف من شعورى الدافق والعميق بالرضا، أننى دائمًا سوف أجلس لأكتب رواية جديدة.

إنه تحليل صادق ورائع لما يعتمل فى أعماق الكاتب قبل أن يقدم على خلق عمل جديد.. والكتاب يعرفون هذا الشعور المضنى جيدًا.

ويحاول ريك أن يخرج من وحدته وقلقه، فيرسل برقية إلى صديقه الناشر "هارفى" يطلب منه أن يترك نيويورك، ويحضر إليه فى ساراسوتا.

ويرسم المؤلف صورة نموذجية للشخصية الرأسمالية، متمثلة فى هارفى، الذى يضع تخطيطًا دقيقًا لمشروعاته التجارية، بحيث يضمن

لها الربح والاستمرار.. وهو كناشر ذكى، يدرك أنه يكسب الكثير من وراء مؤلفات ريك، يلبى دعوته ويحضر إليه فى ساراسوتا. ويجده مهمومًا بالبحث عن فكرة لروايته الجديدة، فيحاول أن يخفف عنه، ويساعده فى التفكير. ويعرض عليه فكرة رواية يظنها مناسبة، مبديًا استعداده التام لدفع أى مبلغ يطلبه ريك مقدمًا.. ومن الطبيعى أن يرفض ريك فكرة الرواية المعروضة عليه، لأن الكاتب الاصيل لا يحقق ذاته إلا إذا عايش تجربته الفنية، ومارس عملية الخلق والإبداع على نحو يرضيه.

وكمحاولة أخرى للخروج من الأزمة، يبدأ ريك فى الاهتمام بفتاة الكوكتيل "تس" التى تعمل فى الفندق الذى يقيم به.. ويتبين أنها جميلة ورقيقة، فيعجب لكونه لم يكتشف ذلك من قبل، ويحاول أن يتحدث إليها وهى تقدم له الويسكى، فتعرض عنه تارة، وتقبل عليه تارة أخرى.

ويعمل "البارمان" على إخراج ريك من دائرة القلق، فيجلس إليه، ويتحدث معه عن عملية الكتابة، وعلاقة الكاتب بالناشر. ولكن ريك يغير مجرى الحديث، ويديره حول "تس" مؤملا أن يعرف عنها شيئًا.. ويصارحه البارمان بأنه يحبها ويعبدها، لكنها تصده وترفض حبه، رفضًا قاطعًا، بالرغم من أنها تعيش وحيدة وليست متعلقة بأحد.. ويطفح الحزن من عينيه وهو يقول: إن "تس" سوف تترك الفندق، وتغادر ولاية فلوريدا بأكملها، دون سبب واضح.

تجاهل ريك مشاعر البارمان، ونجح فى قضاء ليلة ممتعة مع تس، بيد أنه لم يستطع معرفة أى شيء عن حياتها أكثر من كونها وحيدة، الأمر الذى زاد من تعلقه بها، وأثار فضوله كفنان وهو وإن كان قد اندفع إليها فى البداية ليعالج بها قلقه وعذابه، إلا أنه أصبح أسير حبها تمامًا. وقد اعترف لها بحبه، ووحدته بعد أن طلق زوجته السابقة. ويتوسل إليها أن تبقى، لكنها صممت على الرحيل إلى "تيوأورليانز" قائلة له أن هذه هى طريقتها فى الحياة، ويجب عليه أن ينساها نهائيًا،

ورفضت أن تذكر له عنوانها الجديد، أو تعطيه وعدًا باللقاء.

يحمل ريك آلامه العاطفية، ويذهب لزيارة الناقد الدكتور "روب" فيفهم هذا سر زيارته ويقول له: "أعتقد أنه إذا لم يكن لديك مشاكل، فإنك سوف تبحث عن بعض العقد والمشاكل، لكى تجعل نفسك تحس بأن الحياة تستحق أن نحياها".. ثم يسأله: "هل تسبب لك فكرة روايتك الحديثة بعض المشاكل الفنية، ولكى تخفف من آلام المعاناة الفنية، تبحث عن امرأة.. أى امرأة؟.. إنك تستعمل المرأة كما تستعمل ورق الكتابة أو ورق التواليت، ثم تلقى بها بعيدًا".

ويحاول ريك أن يقنع روب بأن تس امرأة من نوع خاص، وليست ككل النساء، ولذلك فهو لن يستطيع البدء فى كتابة الرواية إلا بعد أن يلتقى بها من جديد، ويستقر معها عاطفيًا.. يسخر منه روب، ويدخل معه فى نقاش فلسفى عن الرجل والمرأة، ومشاكل الوجود الإنسانى، فالرجل يكون عليه أن يختار.. الواجب أو الرغبة، والمرأة يكون عليها أن تختار.. الحب أو المال.. ويتحدثان عن أهمية المرأة فى حياة الرجل، ثم يتدرج بهما الحديث إلى الأدب والنقد. وفى النهاية يخرج ريك وقد أثقل بآلام فكرية، أضيفت إلى آلامه العاطفية.

ولقد أجاد كالدويل رسم شخصية الناقد الذى لا يعجبه شىء، وتصوير العلاقة الموتورة دائمًا بين الكاتب والناقد، وإن كانا صديقين.

يلتقى ريك بسمسار عقارات، أرسله إليه الناشر هارفى، لكى يمكنه من استئجار مسكن مناسب، يخلو فيه إلى كتابة روايته.. ويقومان بعدة جولات فاشلة، فيضطر ريك للبقاء فى الفندق.. ويبذل بعض المحاولات للبدء فى كتابة الرواية، لكنه لا يوفق، ويقرر الرحيل.

ويستنتج البارمان أن ريك سيرحل إلى نيوأورليانز وراء تس، فيتحدث إليه فى إنسانية ومحبة، ويقول له إنه لا يمكن أن يكرهه أو يحقد عليه بسبب علاقته مع تس، لأنه من الممكن أن يكسب أو يخسر أى امرأة فى أى وقت. أما بالنسبة إليه، فهو يفضل أن يكونا

صديقين.. وقال البارمان إنه يعتقد أن تس كانت متزوجة في يوم ما، وهي لم تذكر له عنوانها أيضًا، ولكنه يخمن أنها تفضل العمل في بار "ميرى" بالحي الفرنسي في نيوأورليانز.

وفي بار ميرى، لا يجد ريك تس، وإنما يلتقي بزميلتها "سولين" وهي مطلقة غير جميلة وسكيرة وساقطة، وترفض أن تبوح له بأي شيء عن تس إلا بعد أن يكف عن التفكير فيها، ويذهب معها إلى منزلها، ويمارس معها الحب بطريقة تعجبها وتشبعها.. فيلبي رغباتها، ثم تخبره بأن تس كانت تعلم أنه سوف يطاردها، ولذلك فقد رحلت إلى "هيوستون" لتعمل في "نادى البلوبونت" بعد أن أخذت عليها عهدًا بألا تبوح له بعنوانها.. وتبكي سولين متحدثة عن وحدتها وتعاستها وحاجتها إلى الرجل.. وتقول شيئًا تعتقد أنه حقيقة، وهو أن جميع الساقطات يتزوجن إن آجلا أو عاجلا.. فمن منا سمع عن عانس ساقطة؟.

هناك رأى يقول إن الرجل يكون كالطفل أحيانًا، وخاصة إذا كان فنانًا. ولعل هذا هو المعنى الذى أراد كالدويل أن يجسده في شخصية ريك، ذلك المؤلف العاطفي الذى كتب كثيرًا عن الحب دون أن يجربه، والذى يبدو كالمجنون في ملاحقته لفتاته تس. فقد سافر إلى هيوستون والتقى بها لقاء خاطفًا، وتحت إلحاحه وعدته بلقاء آخر، بيد أنها تركت له رسالة اعتذار، قائلة إنها اضطرت للسفر، بسبب مرض أحد أفراد عائلتها، وسوف تخطره بعنوانها فيما بعد.

ويتعرض ريك لسخرية صديقته "كوني" وزوجها "كين" ووكيل أعماله "جاك". وتشفق عليه كوني، فقد كانت بينهما نيه للزواج من قبل، ولكنها لم تتحقق، فتعامله كأخ، وتساعده في الحصول على مسكن له مديرة، وتعارضه بشدة في حبه لتس. وترجوه أن يبتعد عنها، وتعده بأن تحصل له على فتاة تجعله ينساها تمامًا. وبالفعل ترسل إليه بفتاة جميلة، اسمها "تانسي" وهي لعوب فاجرة، تطلب منه

الجنس فى جرأة متناهية، تدخل عليه الحمام، وكلاهما عار تمامًا، ويتذكر تس، فتخترق رجولته، وتخبو رغبته فى نانسى، التى تصاب بخيبة الأمل وتصرخ فيه: "إننى أعلم ماذا حدث، لقد فعلت الشىء الذى طلبت منك أن تعدنى بعدم فعله.. إنك تفكر فى الفتاة الأخرى.. إنك لا تريد ممارسة الحب معى.. إنك تريد ممارسة الحب معها.. قالت لى كونى إنك لن تمارس الحب معى مهما أحاول، ولكنى لم أصدقها، ظننت أننى أستطيع إغراءك على ممارسة الحب معى.. الآن أعرف الحقيقة عنك.. إنك ناقص الرجولة.. يا شاطر لو كنت مكانك لخلعت البنطلون ولبست الفستان، فإذا كنت ناقص الرجولة فسوف تشعر بالأمان وأنت داخل الفستان.. ها أنذا معك فى الحمام.. وماذا حدث.. لا شىء.. لا شىء على الإطلاق.. كنت أعتقد أن بك بعض الرجولة، وأنك تستطيع إظهارها.. إننى فتاة لعوب، وأنا سعيدة لأنى كذلك.. وماذا بحق الجحيم أنت.. كاتب أو مؤلف.. إن سائق لورى يعرف كيف يرضينى.. وأنا خارجة لأبحث عن واحد..".

وهكذا، نرى أن المؤلف قدم لنا – دون قصد منه – صورة فاضحة ومؤلمة لمدى ما وصل إليه المجتمع الأمريكى من الانحلال والفساد.. وأرسكين كالدويل، قادر دائمًا على أن يعطينا الإحساس بصدق رؤيته، ودقة تصويره للواقع، فى أسلوب فنى بسيط، لا تكلف فيه.

تسلم ريك برقية من تس، وسافر فورًا ليلتقى بها فى "كولورادو سبرنجر". والتقى بها فى وجود صديقة لها تدعى "لافرن"، وحاول أن يحدثها عن رغبته فى الزواج منها، فصارحته فى برود بأنها لا تحبه.. ولكنها أمام توسلاته، وعدته بأن تلتقى به فى يوم الأحد.

وفى نفس الليلة، وبينما هو فى غرفته بالفندق، فوجئ بلافون تفتح الباب وتدخل عليه.. لقد أرسلتها تس لتحل محلها وترضيه عاطفيًا، أملا فى أن ينساها، ويكف عن ملاحقتها.. وتخبره لافرن بأن تس إنسانة غريبة وتعيسة فى حياتها، ولها ابنة من زوج سابق.. وفى

النهاية يغمض ريك عينيه، ويتخيل أن لافرن هى تس، ويمارس معها الحب.. ويتكرر حضور لافرن إليه فى عرفته دون علم تس، وترجوه ألا يخبرها بذلك، لأنهما صديقتان.. ولكن فى حالة كهذه، فإن كل فتاة تعمل لحسابها الخاص.. والصداقة بين الفتيات لا تهم، إذا كان الأمر يتعلق برجل.. إنه قانون صعب وسريع.

ولعل هذه هى الفتاة التى كان يجب أن يحبها ريك، لأنها الوحيدة التى أحبته بصدق وإنسانية – بغض النظر عن الجنس، فهو شىء سائد وعادى فى أمريكا – وهى قد فهمته وأحست به ككاتب، إذ ذهبت إلى المكتبة، وقرأت جميع مؤلفاته، وكل ما كتب عنه، وأصبحت تعرف قصة حياته منذ ميلاده.. وتتوسل إليه أن يقبلها كزوجة أو عشيقة تسعده وتهيئ له كل أسباب الراحة ليكتب ويكتب.. ويخجل من نفسه أمام حبها العميق، ولكنه يعجب بها فقط، ولا يستطيع أن يحبها.. إنه يحب تس.. الفتاة صعبة المنال، التى لا تحبه.

ويحدث لقاء أخير، بين ريك وتس، فتصارحه بأن الإنسان الوحيد الذى أحبته هو زوجها الذى طلقها تحت ضغط من أمه.. إنها لا تستطيع أن تحب سواه، وإذا عاد إليها فسوف تتزوجه من جديد. وفيما عدا ذلك فهى تعيش لابنتها، ومرضها هو سبب سفرها الأخير، وتعتذر إليه قائلة إنها بكل تأكيد لا تستطيع أن تحبه، لأنها فقدت قلبها كما يفقد الإنسان ذراعه أو ساقه فى حادث.. ولذلك فهى تعمل لتحصل على المال بدلا من الحب، رغم علمها بأن المال لا يمكن أن يغنى عن الحب.. ثم ترجوه أن ينساها تمامًا، ويغادر المدينة نهائيًا.

ويعلم الناشر هارفى بما حدث لريك، فيحضر إليه هو وزوجته، ويلتقيان به فى وجود وكيل أعماله جاك، ويعمل الثلاثة على التخفيف عنه، قائلين له.. إن الحب فى واقع الحياة، يختلف عن الحب الذى يكتب عنه فى رواياته، وإن المرأة المثالية التى يبحث عنها لا توجد إلا فى خياله، والفرق شاسع بين الخيال.. والحقيقة. ويقتنع هو بأنه

يستطيع دائما أن يجعل أبطال رواياته يقولون ويفعلون ما يريده لهم، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك مع الناس فى واقع الحياة.. وفى النهاية يدفعون به ليبدأ كتابة روايته.

وثمة كلمة سريعة، هى أن سولين، ونانسى، ولافرن، هن فى الواقع ثلاثة قوالب مختلفة لمضمون نسائى واحد.. المرأة الباحثة عن الجنس ولو بدون حب.. أما تس فهى نموذج رائع للمرأة المخلصة الوفية، ذات المثل والمبادئ.

والرواية فى مجموعها، قد نجحت فيما قدمته لنا من تحليل ممتع وصادق، للمشاعر والعلاقات الإنسانية.

الرمز والغموض فى القصة القصيرة(*)

نحن نعتقد أن العلاقة بين شكل العمل الأدبى ومضمونه هى بطبيعتها علاقة عضوية متلاحمة، لا تقبل الانفعال ولا تحتمل الانفصال.

ونعتقد أيضًا أن قانون العمل الأدبى ينبثق تلقائيًا من داخله حسب متطلبات العمل نفسه، قصة قصيرة كانت أو رواية، لذلك فإنه ليس من الطبيعى ولا من المفيد أن يقحم الأديب الرمز على عمله أو أن يضفى عليه الغموض دون مبررات فنية أو ضرورات ملحة تستوجب ذلك، وهو يدرك أنه لو فعل لأضر بعمله ضررًا بالغًا يشوه العمل ويسىء إليه ولا يرتقى به.

والكاتب المتمرس يعرف بخبرته الطويلة كيف يعبر عن تجربته الأدبية بالكيفية المثلى، وكيف يضعها فى الإطار المناسب لها، وهو يهتدى إلى ذلك أساسًا بموهبته الإبداعية المتأصلة وحاسته الفنية المرهفة، لنكتشف نحن فى النهاية، عند قراءتنا للعمل، أن كاتبه المبدع قد أخذ فى اعتباره جميع المعايير الأخرى للجودة، دون أن يتعمد ذلك، فقدم لنا عملا أدبيًا متكاملا نستمتع به ونستفيد منه.

وللكاتب أن يلجأ فى عمله إلى الرمز دون افتعال، حين يرى أنه أنسب القوالب الفنية للتعبير عن تجربته الأدبية، أو حين تمنعه الظروف المحيطة من التصريح بما يود أن يقول، خشية أن يقع فى محظور ما أو يتعرض لمساءلة قد تدينه، بينما هو يستطيع أن يلتف حول المحظورات ويقفز فوق المساءلات بواسطة قدراته الفنية

---

* - نشرت فى مجلة "أخبار الكتّاب" فى يناير ٢٠٠١.

ومهاراته الخلاقة، التى تمكنه من استخدام الرمز المعبر دون المساس بجوهر رسالته الإنسانية التى يسعى إلى إبلاغها لقرائه من خلال عمله الأدبى، وإن غلفه بشىء من الغموض.

والرمز المعبر، المتقن والموفق، من شأنه أن يكسب العمل الأدبى أبعادًا أعمق وآفاقًا أرحب وجماليات أشمل، ويجب ألا يكون الرمز مستغلقًا إلى الحد الذى يعجز عنده إدراك المتلقى عن فك أسرار العمل، ويفضل أن يتضمن النص بعض المفاتيح المعينة التى تساعد على إزالة الغموض الناشئ عن استخدام الرمز، وتجعل النص مفهومًا للقارئ.

وأحيانًا يلجأ الكاتب إلى الغموض المقصود لذاته، ربما بقصد الإبهار وبيان المقدرة والسعى وراء تيار الحداثة، وقد يفسر المتلقى ذلك على أنه ناتج طبيعى للتقدم العلمى والتطور الفكرى، وغيرهما من الأسباب المعاصرة التى أدت إلى تعقد الحياة وتشابك مناحيها، بحيث يمكن القول بأن ما كان مألوفًا بالأمس لم يعد مألوفًا اليوم، وبالتالى فإن الكتابات السردية الصريحة والتقليدية المسطحة توشك أن تفقد – إن لم تكن قد فقدت فعلا – صلاحيتها لعصرنا هذا، عصر الفضاء والتكنولوجيا والعولمة.

ولقد أتى علينا حين من الدهر، يمكن تحديده بستينيات القرن العشرين، كادت فيه ظاهرة الرمز والغموض بشقيها أن تنتشر انتشارًا يوحى بأنها قد أصبحت سمة من السمات الأساسية للأدب الحديث، بينما كان لتلك الظاهرة أسبابها السياسية، ثم أدى التغير السريع للظروف الحياتية والاجتماعية إلى انحسار تلك الظاهرة، بحيث لم نعد نلتقى بها إلا فى بعض الأعمال القليلة التى أحسب أن كتابها قد استخدموا فيها الرمز والغموض لأسباب أدبية وفنية بحتة، مستهدفين التجريب والتجديد والارتقاء بعملهم.

ومن المعلوم أن الرمز المغلق أو الغموض المبهم، أى منهمـــا أو كلاهما معًا، كفيلان بطمس العمل الأدبى شكلا ومضمونًا، والحيلولـــة دون وصول مفهومه للقارئ، وهذا ما لا يرضاه أى أديب لعمله.

أما الرمز المقنن والغموض المخفف فإنهما يعطيان العمل الأدبـــى مذاقًا مبهرًا ومستملحًا، يمتع المتلقى ويستثير خياله وذكاءه، ويرتفع به إلى مستويات أعلى من الشعور والإدراك، وهى أمور جديرة باهتمام الكاتب المبدع.

بين الفصحى والعامية(*)

لغة الحوار فى القصة القصيرة والرواية، لا تزال تثير الكثير من النقاش والجدل بين الأدباء والنقاد. والمتحاورون فى تلك القضية اللغوية والأدبية الهامة، ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول يرى أن اللغة العربية الفصحى هى اللغة الأم، الأصلية والأساسية، التى يجب استخدامها فى الحوار كما فى السرد، دون سواها.

أما الفريق الثانى، فيرى أن لغة الحوار فى العمل الأدبى، يجب أن تكون هى اللغة العامية الدارجة، وحجتهم فى ذلك أن العامية هى فعلا لغة الناس اليومية، فى البيت والشارع وجميع الأماكن، وجريانها على لسان الشخصيات القصصية والروائية، يعبر عن الواقع الحياتى المعاش، ويكسب العمل الأدبى قدرًا لا يستهان به من الصدق، إن لم يكن كل الصدق، ومن المعلوم أن الصدق مطلب ضرورى فى القصة القصيرة والرواية على حدٍّ سواء، ليس فى الحوار والسرد فقط، وإنما فى مضمون العمل الأدبى أيضًا، ما لم يكن من أدب العبث واللامعقول، فالصدق الفنى من أهم معايير الجودة فى العمل الأدبى، وهو فى الوقت نفسه خير ضمان لوصول مفهوم العمل إلى وجدان المتلقى وعقله.

وبطبيعة الحال، فإن الإنسان العادى البسيط، الذى يمثل قطاعًا كبيرًا من المجتمع، لا يفهم غير لغة الحوار العامية، التى يتحدث بها

---

* - نشرت فى مجلة "أخبار الكتّاب" فى فبراير ٢٠٠٠.

ويتعامل معها طوال حياته، هكذا يقولون، وينزلون بلغتهم إلى مستوى رجل الشارع، بدلا من أن يرفعوه إليهم.

ولكن أنصار العامية أولئك يستسهلونها، ويتناسون أنها ليست موحدة فى جميع أقاليم الجمهورية، وإنما اللهجة العامية نفسها تأخذ فى التباين والاختلاف من إقليم إلى آخر، حتى تصل إلى حد الاستغلاق وعدم الفهم، بمعنى أن العمل الأدبى الذى يستخدم كاتبه اللغة العامية فى الحوار، لن يكون مفهومًا بنفس الدرجة من الوضوح، بالنسبة للقارئ المصرى فى جميع أنحاء الجمهورية.

وما دام الحال كذلك، فهل يقدر لمثل هذا العمل أن يعبر الحدود، ويكون مفهومًا لأبناء الأقطار العربية الشقيقة مثلا؟! لا أظن، بل ولا أظن أنه يمكن أن يحظى بالترجمة إلى لغة أخرى فى يوم من الأيام، وإنما سيظل أسير محليته وإقليميته، وقد لا يعيش طويلا.

وليس صحيحًا إذن، أن اعتماد اللهجة العامية لغة للحوار، يكون فى صالح العمل الأدبى!

وفضلا عن كل ذلك، فنحن ندرك أهمية اللغة العربية وقيمتها، بالنسبة للعمل الأدبى، فى الحوار والسرد وغيرهما، فهى اللغة الأم المفهومة لقراء العربية فى كل مكان وزمان، وهى اللغة الرسمية القابلة للترجمة إلى جميع اللغات الحية، وهى اللغة القادرة على الانطلاق بالعمل الأدبى من نطاق المحلية المحدود، إلى آفاق العالمية اللامحدودة.

ولا أكون مبالغًا إذا قلت إن اللغة العربية الفصحى، هى التى تكتب للعمل الأدبى البقاء والخلود عبر الأجيال والقرون، إذا كان جديرًا بذلك طبعًا، بعكس اللهجة العامية، التى قد تتغير وتتقرض بمرور الزمن، وتتابع الأجيال، فيندثر معها كل عمل أدبى اعتمد عليها لغة للحوار فيه!

وقد يكون الحل الأمثل لقضية لغة الحوار فى العمل الأدبى، هو ما توصل إليه نخبة من الكتاب المتميزين، أمثال نجيب محفوظ وثروت

أباظة، وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس، حيث أدركوا فى وقت مبكر أهمية لغة الحوار فى العمل الأدبى، فاصطنعوا للحوار فى أعمالهم لغة وسطى، يمكن أن نسميها العربية الميسرة، أو الفصحى المبسطة، التى تجمع بين سلامة اللغة، وسهولة العبارة، ويفهمها قارئ العربية مهما تكن درجة ثقافته، وأيًا كان موطنه.

وهذا يؤكد مدى ثراء لغتنا العربية الفصحى، وقدرتها الدائمة والمتجددة على التعبير، وصلاحيتها غير المحدودة للتخاطب مع جميع القراء، فى جميع الأمكنة والأزمنة، وكلها أمور تدعونا للتمسك بلغتنا الفصحى، لغتنا العربية الجميلة.

وغنى عن التوضيح أن كل ما تقدم لا يزيد عن كونه رأيًا شخصيًا، ليس من الضرورى أن يلتزم به قاص أو روائى دون إرادة منه. فمن المسلم به أن الكاتب أو الأديب له مطلق الحق والحرية فى أن يكتب ويبدع على النحو الذى يراه ويرتضيه لفنه.

الفهرس

ابتسامة رجب البنا ٥
الفن والأخلاق فى القصة القصيرة عند فتحى الإبيارى ١٢
الحمامصى والحريرى وكأس القبانى ١٨
غرباء والصدق الفنى عند محمد حافظ رجب ٢٢
الدكتور جمال حمدان.. واليهود ٢٧
رستم كيلانى وحياة الحياة ٣١
عبد العزيز إسماعيل وذئب القرية ٣٥
شيخ القصة العربية محمود تيمور و.. بنت اليوم ٣٩
روائى الدلتا محمد عبد الحليم عبد الله.. و.. قصة لم تتم ٤٩
آمال وأقدار ثروت أباظة ٥٦
لقاء مع: ثروت أباظة ٦٣
وداعًا.. أديبنا الكبير ثروت أباظة ٧١
وداعًا.. أمين يوسف غراب ٧٦
محمد صدقى.. و.. شرخ فى جدار الخوف ٨٢
مصطفى عبد الوهاب.. و.. دبوس فى الرأس ٨٦
محمد المويلحى وحديث عيسى بن هشام ٩١
عبد الرحمن شلش.. وداعًا أعز الأصدقاء! ٩٥
لقاء مع الشاعر الكويتى عبد الله زكريا الأنصارى ١٠١
عبد الله زكريا الأنصارى.. وداعًا! ١٠٧
حب ومال أرسكين كالدويل ١١٢
الرمز والغموض فى القصة القصيرة ١٢١
بين الفصحى والعامية ١٢٤

المؤلف

محمد صفوت

*** صدر له:**

١- **فى مدرسة البنات**، قصص قصيرة، ١٩٨١، دار الخليج، الكويت.

٢- **أشياء لا تموت!**، قصص قصيرة، ١٩٩٩، مركز الحضارة العربية.

٣- **لحظة الانتقام**، قصص قصيرة، ٢٠٠٠، دار زويل.

٤- **وداع لم يتم**، قصص قصيرة، ٢٠٠١، اتحاد الكتاب، أقلام مصرية.

٥- **لقاء غير متوقع**، قصص قصيرة، ٢٠٠٢، نادى القصة، الكتاب الفضى.

٦- **اللصوص**، قصص قصيرة، ٢٠٠٣، مركز الحضارة العربية.

٧- **انطباعات أدبية**، رؤى نقدية، ٢٠٠٧، مركز الحضارة العربية.

*** تحت النشر:**

١- **حافة اللاوعى**، قصص قصيرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٢- **هموم مراهقة**، قصص قصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣- **العربة الفريدة**، قصص قصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤- **أبو البنات**، رواية.

٥- **اغتيال البراءة**، رواية.

Email: muhamed-safwat@yahoo.com